"فى النقد التاريخى" شخصية الإمبراطور كلاوديوس "*Claudius*" نموذجاً

فكرة هذا البحث هى بيان أهمية إعادة دراسة الشخصيات التاريخية خاصة الأباطرة خلفاء الإمبراطور أغسطس "Augustus" من الأسرة اليولوكلودية "Julio-Claudians"، فلقد رسمت المصادر الأدبية صورة قاتمة لهؤلاء الأباطرة، وتركزت روايات المؤرخين القدامى حول نقاط الضعف الكامنة فى شخص هؤلاء الأباطرة أنفسهم، وخطاياهم، وعلاقاتهم الشخصية مع أسرهم، وموظفيهم، ومع مجلس السناتو، والمؤامرات التى حيكت وفضائح القصر الإمبراطورى والاغتيالات السياسية التى حدثت فى عهدهم، ولقد رأيت أن اتخذ من شخصية كلاوديوس "Claudius" (٤١-٥٤) نموذجاً. والسبب فى ذلك أنه يثار حولها عديد من الأسئلة والاستفهامات بل والتناقضات أيضاً. فهى من جانب تظهر نقاط ضعف وغرائب وسلبيات بل وانتكاسات لخلافة الإمبراطور أغسطس، ومن جانب آخر تُظهر فضائل وتطور وانجازات تمت فى عصره. فالمصادر الأدبية تسلط الضوء على الجوانب السلبية لشخصه وسياسته، وأظهرت أنه رجل أحمق وطاغية وألعوبة فى يد زوجاته وعبيده المُحَرَّرين. إلا أن النقوش والبرديات المُكتشفة حديثا كشفت أن عصره تمت فيه إنجازات كثيرة ووضح أنه كان لهذا الإمبراطور دوراً كبيراً ومؤثراً فى مسار الأحداث السياسية وبناء الإمبراطورية.

هذا التناقض بين تقييم الكتّاب القدامى لشخصية كلاوديوس وبين سجله التاريخى الوثائقى، بلا شك يثير الاهتمام من أجل معرفة الحقيقة أو الوصول إلى صورة أقرب ما تكون من الحقيقة. ورغم أهمية وثائق عهده إلا أنه لن يكون هدف هذا البحث هو مناقشة تلك الوثائق أو معرفة انجازاته، وإنما الهدف منه هو إعادة قراءة لتلك المصادر الأدبية[1] التى تحدثت عنه من أجل إعادة تقييم وتصحيح تلك الصورة القاتمة التى وصلت إلينا عن شخصيته. فالمصدر الأدبى رغم أهميته، إلا أنه من حيث المصداقية يأتى فى المرتبة الثانية بعد المصادر الوثائقية، ومن ثمّ لابد من قراءته بعناية وتحليل ومقارنة رواياته بدقة.

---

(١) كل الإشارات التى سترد بخصوص المؤرخين القدامى أو سنيكا الخاصة بالإمبراطور كلاوديوس هى من خلال النص اللاتينى الوارد فى مجموعة "Leob Classical Library" أما الترجمة إلى العربية فقد تمت بمعرفة الباحثة. وسوف نتبع تلك الاختصارات التالية:

Dio Cassius = Dio.,60.
Josephus, Antiquitates Judicae = Joseph. AJ.x1x.
Josephus, Bell. Jud. = Joseph. BJ.
Seneca Apocolocyntosis = Seneca.Apoc.
Seneca Ad Polybius = Seneca.Ad Poly.
Suetonius, Divus Claudius = Suet.Claud.
Tacitus Annales = Tac. Ann. XI, XII; (AD.47-54 AD).

ومصادر عهد كلاوديوس متنوعة ومتعددة بين أقوال شهود عيان لهم وضعهم وعلى رأسهم الإمبراطور أغسطس[١] نفسه وسنيكا "Seneca" الفيلسوف (مربى نيرون) وكذلك روايات مؤرخين لهم وزنهم فى الكتابة التاريخية مثل تاكيتوس "Tacitus"، وقد تبعه كل من سويتونيوس "Suetonius" وديوكاسيوس "Dio Cassius" فى رواياتهم عن الإمبراطور كلاوديوس. وهذه المادة أعنى أقوال المؤرخين القدامى وعلى رأسهم تاكيتوس وشهادة معاصره سنيكا، هى التى سوف يركز عليها البحث وذلك من خلال ترجمة بعض رواياتهم ونقدها. فهدف البحث هو نقد منهج المصادر الأدبية، لبيان إلى أى مدى يكون قصور منهج القدامى فى رسم صورة معينة لملك[•] أو إمبراطور رغم ما هو معروف عن بعض هؤلاء الكُتّاب من قيمة فى الكتابة التاريخية.

ولن يكون هدف هذا البحث بالطبع هو الحديث المُفصّل عن سيرة الإمبراطور كلاوديوس وسرد انجازاته كما فعل مؤرخين محدثين أمثال: ارنولدو موميليانو "A. Momigliano":[٢] وليس دراسة مفصلة للصورة الوصفية البلاغية التى أعطاها تاكيتوس لكلاوديوس كما فعلت مريم جريفين "M. Griffin"[٣] التى تركز على الأساليب اللفظية لتاكيتوس والتقسيمات الفنية التقنية لكتبه دون التعرض لترجمة النص أو تحليله لأن ما يهمها فى المقام الأول هو الصورة اللفظية. كما أن بحثنا سيختلف عن دراسة دونا هيرلى "D. Hurely"[٤] التى تتناول فيها رواية سويتونيوس عن كلاوديوس، حيث أنها تعالج ترجمة النص اللاتينى لسويتونيوس وتعطى تعليقات لغوية حيث أن كلا من م. جريفين و د. هيرلى تخصصهما فى الدراسات الكلاسيكية اللغوية ولا يبدين رأيا أو تحليلا للأحداث إلا بشكل نادر الحدوث. كذلك لن نتناول أسلوبه الخطابى البلاغى الذي تحدث عنه المؤرخون المحدثون مثل بينر "Benner"[٥]، وكما ذكرنا لن نخوض فى مناقشة تفصيلية لوثائق عهده أو تحليلها كما فعل تشارلزورث "Charlesworth"[٦] وقد

---

(١) راجع أقوال الإمبراطور أغسطس الخاصة بكلاوديوس فى بحث آخر عن كلاوديوس: ناهد الحمصانى، "حقيقة مرض كلاوديوس واستبعاده عن السلطة حتى عامه الخمسين"" والمنشور فى مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، المجلد ٢٨، (٢٠١١)، ص ص٥٣-٧٥.

(•) كان هذا هو اهتمامى فى رسالة الماجستير التى قدمتها عام ١٩٨٦ تحت إشراف/ إبراهيم نصحى عن سياسة الملك بطليموس الرابع "فيلوباتور" الدينية. حيث كان الفصل الثانى من تلك الدراسة هو نقد منهج المؤرخين القدامى وعلى رأسهم بولوبيوس فيما يتعلق بشخصية الملك بطلميوس الرابع وميوله الديونوسية وضعف شخصيته والأثر السيء لبطانته ومناقشة تلك المقولة الشائعة أنه كان سببا فى انحدار دولة البطالمة.

(2) Momigliano.A.,Claudius the emperor and his achievement, Eng. translated by Hogarth. W.D., Cambridge, 1934 reprinted, 1961, 1981.

(3) Griffin, Mirium."Claudius in Tacitus", Classical Quartery, 40, no.2 (1990), pp. 482-501.

(4) Hurely.D.W.,Suetonius : Divus Claudius,Cambridge, 2001.

(5) Benner, M., The Emperor says,Gothenburg, 1975.

(6) Charlesworth.M.P., Documents illustrating the reigns of Claudius and Nero, Cambridge(1939). = Charlesworth, Docs.

كان رائداً فى جمع النقوش الخاصة بعهدى كلاوديوس ونيرون. أو مارى سمولوود "M. Smallwood"[1] التى أكملت عمل تشارلز ورث بمهارة فائقة وكذلك مارى سكراموزا "M. Scramuzza"[2].الا ان البحث سوف يستخدم بعض النقوش التي تفيد الهدف من البحث. وقد استفدت كثيرا من نتائج ما وصلوا إليه خلال دراساتهم القيمة لتلك النقوش[•].

إن البحث سوف يرتكز على محورين أساسيين مرتبطين باتهامات وُجهت إلى كلاوديوس وحكومته من جانب المؤرخون القدامى:

الاتهام الأول: هو قضية الاغتيالات فى عهده، وعداء أعضاء السناتو له، ووصفه بالطاغية، ودور زوجاته وعبيده المُحَرَّرين فى إصدار الأحكام باعتباره دمية في ايديهم.

الاتهام الثانى: هو حمق الامبراطور كلاوديوس وبلادته وتناقض شخصيته. سوف يتناول البحث بعض روايات المؤرخين القدامى وبيان دوافعهم فى إبراز هذا التناقض ونقد منهجهم خاصة رواية تاكيتوس، وكذلك سنيكا الذى ركز على تشويه صورة الإمبراطور.

وسيختتم البحث بتقييم حقيقة شخصية الإمبراطور كلاوديوس وذلك من خلال استعراض لفكر كلاوديوس السياسى ودوافعه فيما أحدثه من تغييرات خلال حكمه، وسيناقش البحث هل كانت هذه التغييرات وراء تلك الاتهامات التى وجهت إليه؟ سنحاول تفسير ذلك فى ضوء ظروف العصر وما وصل إليه نظام البرنكباتية Principatus (حكم المواطن الأول) فى عهده، حتى نتبين دوره التاريخى، وتفسير لغز التناقض المُحيِّر فى شخصيته.

---

(1) Smallwood. M., Documents illustrating the principates of Gaius, Claudius and Nero, Cambridge Univ. Press. 1967. = Smallwood, Docs.

(2) Scramuzza, M., The Emperor Claudius(Cambridge,1940).

(•) إن المادة التاريخية الخاصة بالإمبراطور كلاوديوس ضخمة جداً وقد بذلت وقتاً وجهداً كبيرين من أجل تنسيقها وتحليلها ومُحاوِلة الخروج بشئ مختلف عن الكتابات السابقة الخاصة به. وهناك أيضاً رسائل دكتوراه عن كلاوديوس ومعظم مادتها مخطوطية (Manuscript, archival material) ومنها

Czurki, ch., The freedmen of Emperor Claudius, 1975; Mckibbin Lindsay, Katherine Ann., Roman Diplomacy: Principles and Practice their use and development until the death of Emperor Claudius. 1988; Porter, Barry. Republican opposition to the first three emperors of Rome, 2002.

أولا: قضية الاغتيالات التى ارتُكبت فى عهد كلاوديوس ضد رجال من طبقة السناتو والفرسان ووصفه أنه طاغية وألعوبة في يد زوجاته وعبيده المحررين والرد على هذا الاتهام.

لكى نناقش هذا الاتهام لابد أن نذكر ظروف تقلد كلاوديوس للسلطة وما قابله من رد فعل. فبعد اغتيال جايوس كاليجولا وزوجته وطفله، ربما توقع كلاوديوس اغتياله هو الآخر لكن على العكس عرض عليه الحرس البريتورى[١] منصب البرنكباتية وأعلن حمايته للإمبراطور، بينما الجماهير أحاطت به ونادت باسمه أنه الحاكم الوحيد[٢] multitudine, quae circumstabat, unum rectorem iam et nominatim exposcente. وهكذا صُدم الارستقراطيون وخاصة الفئة المعارضة منهم وانعقد السناتو لمدة يومين . وأرسل له اثنين من التراينة لكى يخبرانه بأن يفعل بما يأمره السناتو به أو على الأقل يقبل الرئاسة منهم هم أنفسهم، هذا ما ورد حسب قول يوسيفوس "Josephus" وذكره أيضاً ديو[٣]. أما سويتونيوس[٤] فيقول أن رجال السناتو دعوه إلى دخول المجلس ad suadenda quae viderentu وطلبوا منه الإدلاء برأيه حول الموقف فأرسل لهم بعبارة: " أنه اعُتقل عنوة"، ووفقا لرواية يوسيفوس[٥] أيضا أن كلاوديوس رفض دعوتهم وظل بعيد عن السناتو لمدة شهر، فهل الخوف هو الذى قاده إلى عدم تلبية دعوة السناتو؟

تناقش ماري سكراموزا[٦] هذه النقطة المهمة فتذكر أن السناتو لم يسمح لرجل يُدعى ڤيرانيوس Q. Veranius أن يكون ضمن الوفد المفوض إلى كلاوديوس عقب رفع الجند له كإمبراطور. هذا الرجل هو أحد البرايتوريين لعام ٤٢ الذين احتفلوا بالذكرى السنوية لاعتلاء كلاوديوس العرش[٧]. وتستنتج م. سكراموزا من هذا أن معارضة السناتو انهارت بسبب موقف البرايتوريين الذين لولا موقفهم لربما لقى كلاوديوس مصرعه بينهم. وتؤكد المصادر القديمة علي هذا القول فيذكر سويتونيوس[٨]، أنه فى اليوم التالى لاغتيال جايوس كان مجلس السناتو

---

(١) لقد ناقشت فى بحثى الآخر عن كلاوديوس: "حقيقة مرض كلاوديوس، ص ص ٧٣-٧٤ تلك المقولة الخاطئة التى يرددها المؤرخون القدامى أن كلاوديوس وصل إلى العرش بالصدفة فهى تذكر أن رجلا كان مختبئا خلف ستائر القصر وفضحته قدماه فأدى له احد الحرس التحية استهزاءاً به وهكذا صار إمبراطور بالصدفة.

(2) Suet.10.4; cf. Joseph. AJ. XIX, 228: عن موقف الشعب إزاء رئاسة كلاوديوس أنظر

(3) Dio, 60. 1, 4; Joseph.AJ.XIX.265:

أرسل القناصل تراينه العامة إلى كلاوديوس ليخبروه بأن يتسلم العرش من الشعب والسناتو ووفقاً للقانون:

επι τε τω δημω και τη βουλη και τοις νομοις γενεσθαι,

(4) Suet.Claud.10.3-4

(5) Joseph. AJ. XIX 251-3; Dio, 60. 30, 2.5. عن خوف كلاوديوس أنظر:

(6) Scramuzza, op.cit., p. 12ff; p.57 ff.

(7) Dio, 60.12.4; Scramuzza,loc.cit.

(8) Suet.Claud.10.3-4.

متباطئاً ومتقاعساً عن مخططاته بسبب التنافر بين آرائهم. كذلك فإن رواية يوسيفوس[١] تدل على قوة التحالف ضد كلاوديوس خاصة بين القنصلين ساتورنينوس Sentius Saturninus وبومبيوس سكوندوس Q. Pomponius Secundus من أجل إعادة الجمهورية. إذاً فإن مخططات رجال السناتو أُحبطت بسبب اختلافهم ، فلو كان رجال السناتو على رأى رجل واحد لكان فى إمكانهم أن يعلنوا رسميا عودة الجمهورية أو يعلنوا عن مرشح آخر منافس للبرينكبس، وأيضا بسبب وقوف الحرس البريتورى إلى جانب الإمبراطور الذى احتمى بهم[٢]. وهذا يعنى أن السناتو هو الذى أعلن الحرب على كلاوديوس وهذا ما ذكره يوسيفوس[٣] أيضا(πολιμειν εψηφιζετο).

وبالتالى لا يكون رفض كلاوديوس تلبية دعوة السناتو دليلاً على الخوف فقط من العدوان الذى قد يصيبه، وإنما كان يخشى من تنحيه أيضاً من منصبه. ويبدو أن المعارضة ضد الإمبراطور استمرت بدليل المؤامرات التى دُبرت ضده والتى وصلت إلى ست محاولات كما يذكر ديو[٤] خلال الأربعة عشر عاما من حكمه. وبناء على ذلك فإن ما ما تذكره المصادر القديمة[٥] من أنه تخلص من ٣٥ من السيناتوريين وما يزيد عن ٢٠٠ من الفرسان يكون دليلا على أن تدبير المؤامرات ضد الإمبراطور هو الذى دفعه إلى تنفيذ عددا من الاغتيالات لهؤلاء المتآمرين. ويمكن استنتاج من ذلك أمران:

---

(1) Swan. M., Josephus, AJ. x1x, 251-252, Opposition to Gaius and Claudius. Am. Jour. of Philology, vol. 91 (1970), esp. p. 150 n.4; 151; راجع فيما يلى أيضاً هامش رقم (٥)، ص ١٩٩، ٢٠٠.

(2) Suet. Claud. 10. 2-4. اقسم الجند لكلاوديوس قسم الولاء له ووعد كل جندى بمبلغ ١٥ ألف سستركيس

(3) Joseph. BJ. 11. 205.

(4) Dio; 60, 15; Suet.Claud.13; 29.

أشهر تلك الاغتيالات كانت لهؤلاء الأشخاص

١) Appius Silanus الذى أُعدم فى فترة مبكرة من عهد كلاوديوس (عام٤٢).

٢) السيناتور Vinicianus ومعه Scribonianus حاكم دالمايتا وقد دبروا تمرد ضد كلاوديوس وشاركهم عدد قليل من السيناتوريين وفشل التآمر بسبب تمرد قوات سكربونيانوس عليه.

٣) مؤامرة أخرى من القناصل L. Saturninus و Cornelius Lupus و Pompeius Pedo.

٤) Asinius Gallus حفيد Asinius Pollio ومعه Statilius Corvinus وقد كشف تأمرهم عام ٤٦ ومعهم عدد من عبيد الإمبراطور المُحَرَّرين.

٥) V. Asiaticus أعدم بمحاكمة فى القصر وقد ذكرت المصادر أن التهمة كانت زنا المحارم وأن كلاوديوس خُدع بإصدار العقوبة عليه. إلا أن كلاوديوس أفرده بالذكر فى خطابه أمام السناتو الخاص بدخول الغال المجلس والذى يؤرخ بعام تالى مما يقترح أن التهمة كانت أكثر خطورة فربما طمع اسياتيكوس فى العرش وكان قنصل زميل مع St. Corvinus المذكور أعلى.

٦) مؤامرة عام ٤٨ (عام رقابة كلاوديوس) قام بها Gaius Sillius وهى مرتبطة بخيانة زوجة الإمبراطور ميساليا.

المؤامرات من ١–٥ كانت قبل فترة رقابة كلاوديوس وربما كان هذا سبباً قوياً جعل كلاوديوس يراجع فحص قوائم السيناتوريين. راجع فيما يلى، ص ٢٠٠، ٢٠١ .

(5) Dio, 60.30.2, Suet. Clud., 13.

الأول: أن أقران الإمبراطور هم الذين ارهبوه.

الثانى: أن الاغتيالات كانت فى الغالب رد فعل للعداء السيناتورى ضده.

لقد قدم أليندون Alindon[1] دراسة عميقة وقيّمة فى عامى ١٩٥٦،١٩٥٧ تتبع فيها مسار وخلفية أولئك الذين تم إعدامهم أو استبعادهم فى عهد كل من كلاوديوس ونيرون، ذلك العهد الذى وقع فيه حلقات طويلة من الاغتيالات أو النفى، ورأى أنه من الأفضل أن نحكم علي تلك الاغتيالات استناداً على الدليل الخاص بكل حالة نُفذ فيها حكم الإعدام على حدى. ولقد وجد من خلال دراسته أن الذين وقع عليهم الاغتيال أو النفى كانوا أفراداً من بيوت عائلات بعينها أو أفراداً داخل مجموعات معينة وضرب مثال على ذلك بالحالة الخاصة لعائلة بايتوس C.Paetus تلك العائلة التى ينتمى إليها فانيوس[2] التى يتبين من تاريخها كثرة حوادث الاغتيالات بين أفرادها علي مر عهود الاباطرة منذ عهد كلاوديوس إلى دوميتيانوس. وقد كتب فانيوس هذا إلى بلينى الصغير ثلاثة كتب يصف فيها حالات **هلاك المُغتالين والمنفيين على يد نيرون** "*Exitus occisorum out relegatorum a Nerone*" وخرج أليندون من دراسته بنتيجة مهمة جدا تلقى الضوء على حقيقة قد تختلط على الأذهان، وهى العلاقة بين شعور النفور العام لكل ما هو امبراطورى، وبين المقاومة السيناتورية الموروثة والظلم الامبراطورى المقابل لها. فدراسته تستبعد وجود شعور نفور عام لكل ما هو امبراطورى حيث أنه لا توجد وحدة للمعارضة السيناتورية، بمعنى أن العداء للبيت الامبراطورى كان من عائلات بعينها أو أفراد بعينها كان لديهم مطامع فى الإمبراطورية، وقد قوبلت تلك المعارضة بمقاومة عنيدة من قبل الأباطرة. وبالتالى فإن وضع الاغتيالات الإمبراطورية قد فُرض فرضاً على الأباطرة[3]. إلا أنه يمكننا أن نضيف إلى نتيجة أليندون حقيقة أخرى وهى أن السناتو قد فقد دوره الفعال منذ عهد الامبراطور أغسطس، بل يمكن القول انه فقد دوره قبل أغسطس أثناء الحروب الاهلية، وديكتاتورية سلا ثم قيصر. ومن ثم يمكن القول انه كان هناك حزبان فى السناتو، حزب متشدد معارض للأباطرة وهو يمثل الأقلية المعارضة، وحزب آخر استسلم ورضى بنظام الرئاسة الامبراطوري الذي وضع دعائمه الإمبراطور أغسطس، و يمثل هذا الحزب الأغلبية المؤيدة. علي أية حال أن تلك الإدانات السيناتورية يجب أن نُفهم بالنظر فى سياقها. حيث أنها ترجع إلى عدة أسباب: إمّا من قبيل الحذر والحيطة، أو أحيانا كإجراءات لها مبرراتها ضد جريمة الخيانة العظمى

---

(1) Alindon, D. "Sentorial Opposition to Claudius and Nero". Am. Jour. of Philology (1956), 99. 113-32; Idem. " Claudius and The Senators" Am. Jour. of Philology, 78, no.3 (1957), pp. 279-288.

(2) Cf. Alindon, (1956), p. 113 f.

لقد رأيت أن أضع تلك العلاقات المتشابكة لأفراد هذه العائلة فى صورة شجرة عائلة (راجع شكل ٢١٧) حتى يسهل على القارئ تتبع حوادث الاغتيالات مع تلك العلاقات العائلية المتشابكة.

(3) Alindon (1956), p. 114.

المرتكبة أو تمّ التفكير والشروع فيها. وينطبق هذا على نحو خاص على عهد كلاوديوس "Claudius"[١]. وبقراءة دقيقة لتلك المصادر التى تذكر الاغتيالات المنسوبة إلى عهد كلاوديوس فإنه يمكن ملاحظة عدة أمور:

الأمر الأول: أن المصادر التى تذكر تلك الاغتيالات الإمبراطورية لا تتفق فى رواياتها، فهناك عدم اتفاق مثلا فى عدد ضحايا تلك الاغتيالات فبينما تذكر أن عدد الضحايا من طبقة السناتو الذين أُعدموا هم ٣٥ سيناتوراً فإنها لا تتفق حول عدد ضحايا رجال الفرسان[٢]. ومن بين هؤلاء السيناتوريين ثمانية عشر اسماً معروفاً، يرجع مقتلهم لتهم سياسية، أو وُجهت إليهم تهمة التآمر ضد الإمبراطور. ولدينا أيضاً، زوجتان لاثنين من المذكورين سلفا وخمس سيدات أخريات. وهناك أيضا شركاء كثيرين فى جريمة سكريبونيانوس Scribonianus[٣]. بالإضافة إلى ذلك، فإن دراسة ضحايا تلك الاغتيالات نجد أن هناك تعارض واضح فى المصادر فيما يخص طبيعة الاتهامات، ومن الأمثلة الدالة على ذلك، والذى يعد أبرزها هو حالة لوكيوس سيلانوس Lucius Silanus[٤] الذى اعتزم الإمبراطور

---

(1) Idem.

(2) Suet. Claud., 29; Seneca. Apoc.,13.. يذكر سويتونيوس ما يزيد عن ٣٠٠ حالة من الفرسان بينما سنيكا يذكر ٢٢١ حالة

(3) Dio,60,15,3,6.

(4)Alindon (1956), p. 121-122.

يرى اليندون أن طبيعة الدليل المتعلق بإدانة لوكيوس سيلانوس فيه بعض الارتباك والحيرة، وهو يرتكز على ثلاثة أمور:

١- اعتزام أجريبينا أن تجعل أوقتافيا ابنه الإمبراطور زوجة لابنها نيرون وهذا الدليل يضعف خاصة أن سيلانوس لم يكن قد تزوج بعد أوقتافيا. كذلك القول أنها أرادت أن تبحث عن هلاك لهذا الرجل حتى تقضى على مخططات كلاوديوس فى تزويجه لابنته (Tac. Ann. X11.3) يضعف أيضاً لأن كلاوديوس فى هذا الوقت لم يكن قد صار بعد زوجاً رسمياً لها!

٢- أن سبب إدانته هو وقوعه فى جريمة زنا المحارم مع أخته (Iunia Calvina) أيونيا كالفينا، وهذا الدليل غير منطقى خاصة وأن كلاوديوس بعدها أقبل على الزواج من أجريبينا وهى ابنة أخيه وكان هذا يعد شكلاً من أشكال زنا المحارم (راجع فيما يلى هامش رقم (٢). ص ١٩٣ زواج أجريبينا من كلاوديوس ومدى شرعية هذا الزواج).

٣- الدليل الثالث على إدانته هو تهمة التآمر ضد الإمبراطور وهى التهمة المذكورة عند ديو (Dio, 60, 31, 8) ومثبوتة بالنظر إلى خلفية عداء أسرة سيلانوس. فتاريخ تلك العائلة (أيونى سيلانوس Iuni Silani) ينم عن صراع متكرر مع الأباطرة: ففى عام ٢٢ صدر أمر بإبعاد C. lunnius Silanus بتهمة الخيانة وكان بروقنصل فى آسيا.

أما D. Silanus وربما شقيق المذكور سلفاً، فقد طلب منه تيبريوس ألا يسعى لمنصب بعد عودته من المنفى لما ارتكبه من زنا مع جوليا ابنة أغسطس. أما أخيه M. Silanus فقد دُفع إلى الانتحار باختياره فى عهد كاليجولا الذى تزوج ابنته، فأراد أن يتخلص من إهانات الإمبراطور له. وأبيوس سيلانوس الذى أعدم عام ٤٢ هو شقيق زوجة كاليجولا (Alindon (1956), p. 117 f.). ولقد حاول كلاوديوس كسب ود هذه الأسرة النبيلة تمشياً مع سياسته فى المصالحة مع المعارضة وذلك بتزويج ابنته أوقتافيا إلى لوكيوس سيانوس ومنحه عدة امتيازات (*Alindon* (1956), p. 121 f. and n. 75). ونحن لا نتفق مع أليندون فى شكه فى الدليل أن أجريبينا أرادت أن تتخلص من سيلانوس حتى تستبعد زواجه من أوقتافيا ابنة كلاوديوس، فالمصادر كلها تتفق على أنه كان العريس المرتقب (Suet. Claud. 27; Dio. 60. 5, 7; Tac. Ann, x11, 3.2) ورغم صغر سنها فى هذا الوقت إلا أن مثل هذه الزيجات كانت تتم لاعتبارات سياسية. ففس الهدف تكرر عام ٤١ حين تزوجت أنطونيا ابنة كلاوديوس (كانت أمها Aelia Paetina) من بومبيوس ماجنوس Pompeius Magnus وكان

كلاوديوس تزويجه لابنته اوكتافيا. حيث يذكر تاكيتوس(١)، أن تهمته كانت وقوعه فى زنا المحارم فحسب، فى حين لا يذكر سويتونيوس ولاديو(٢) هذا الاتهام رغم تأكيد ثبوته تقريبا عند تاكيتوس بالنظر إلى مراسم التكفير عن الذنب المذكور، بينما يذكر ديو(٣) تهمة التآمر ضد الإمبراطور فقط. ويبدو أن تهمة الخيانة العظمى "maiestas" عند مؤرخى السناتو كانت تعتبر اتهاما زائفا غير ثابت ما لم يصحبها محاولة التمرد.

ومن ثم فإن تعارض المصادر فيما يتعلق بأعداد ضحايا الاغتيالات وكذلك اختلافهم فى ذكر أسباب الإدانة، يدفعنا إلى الشك فى تلك الروايات.

الأمر الثانى: هناك تناقض واضح فى المصادر فيما يتعلق بشخصية كلاوديوس وعلاقته بالسناتو من جهة وكثرة الاغتيالات التى تمت ضد أعضاء من طبقة السناتو من جهة أخرى! فتلك المصادر التى تصفه بالحدة والفظاظة إزاء المجلس، هى نفسها التى أوضحت تسامحه مع الذين تمنوا عودة الجمهورية(٤). ويتساءل أليندون إذا كانت السنوات السبع عشرة الأولى من عهد تيبريوس وهى التى تزيد عن إجمالى فترة حكم كلاوديوس بنحو أربع سنوات لم تشهد حالة إعدام واحدة لأحد من رجال السناتو(٥) فإنه تأخذنا الدهشة لذلك العدد الخاص بكلاوديوس خاصة إذا وضعنا فى الحسبان أدلة تذكرها المصادر توضح احترام كلاوديوس للسناتو ومحاولة كسب ودّهم ورضائهم(٦).

ولا شك أن أليندون محقاً فى دهشته أمام هذا التناقض، خاصة وأن أدلة احترام كلاوديوس للسناتو ورغبته فى وقار أعضاءه واضحة ليس فقط في المصادر الأدبية بل والوثائقية ايضا وهو ماسوف يأتي ذكره فيما يلى(٧)؛ بل إن كرم

هو الآخر من حزب المعارضة السيناتورية لنظام الرئاسة. ففى رأينا أن أجريبينا استغلت هذا العداء الأسرى من أجل التخلص من لوكيوس سيانوس حتى تفسح الطريق أمام ابنها نيرون ليكون زوجاً لإبنة كلاوديوس وهذا يتفق مع مخططاتها الطموحة وشخصيتها الإجرامية.

(1) Tac. Ann. X11,4,8,9.

(2) Suet. Claud.,24.3; Dio, 60, 5, 7; 21, 5; 13,1.

(3) Idem

(٤) دليل أن كلاوديوس كان ضد السناتو راجع: Dio,60.30.2; Suet. 12.3; cf. Momigliano, op.cit., p.39 ff. أما عن تسامحه مع معارضيه راجع: Suet.11.1 حيث يذكر أن كلاوديوس رأى أن يمسح ذكرى هذين اليومين عند بداية إعلان الحرس له إمبراطور ومعارضة السناتو له. كذلك يذكر (Suet. Claud. 17.3) إنه سمح للمنفيين بالعودة إلى روما لمشاهدة احتفال انتصاره فى بريطانيا.

(5) Alindon (1956), p. 113.

(6) Dio, 60. 6.1-3, 11.6-7; 12.5; Tac. Ann.x1, 27.7; Suet. Clud. 12, 1-3; 36.

(٧) عن حملته من أجل زيادة وقار مجلس السناتو واحترامه للموظفين الحكام راجع:
Dio. 60, 11.6, 8; 25, 6; 29, 1-2; Suet. Claud. 23, 2; 24, 1; Tac. Ann. X1, 25.7.
كذلك راجع فيما يلى موقف كلاوديوس وهو رقيب، حين شطب أسماء بعض السيناتوريين غير اللائقين أظهر احترام شديد إزاء هذا الإجراء. بالإضافة إلى ما ذكره سويتونيوس (Suet. Caud.23.2): أن كلاوديوس أصدر قانوناً يقضى بأن يعين الأوصياء على اليتامى من قبل القناصل خلافاً لما هو معمول فى السابق. كما يقضى بأن المُبعدين من إقليم ما من قبل قضاة هذا الإقليم يجب أيضاً نفيهم من المدينة

الإمبراطور مع أولئك الذين تشوقوا إلى العرش وصل إلى حد إعطائهم مناصب. ولقد أعطى أبناء المشاركين فى تمرد سكريبونيانوس Scribonianus الحصانة وأحيانا هدايا مالية. أمّا أبناء اسياتيكوس Asiaticus فقد صاروا سيناتوريين بعد موت أبيهم،(١) إلا أنه رغم هذا يجدر بنا أن نتوقع أن أحترام كلاوديوس لرجال السناتو كان فى الظاهر فقط من أجل استرضائهم وإتقاء لشرورهم ولدينا الإمبراطور أغسطس من قبل كمثال، فقد سعى إلى استرضائهم من جهة ومن جهة أخرى فرض تلك التشريعات العديدة التى قلّصت من سلطتهم. ومن ثمّ لا ينبغى أن تقودنا تصرفات كلاوديوس أو تصريحاته وكلماته المعسولة أن نعتقد أن أى طرف منهما قد نسى أحداث عام ٤١ خاصة الأيام الأولى حين بدأ تقلده للسلطة. فلم ينس السناتو استناد كلاوديوس فى شرعيته إلى الحرس البريتورى. ولم ينسى كلاوديوس تلك المعارضة من أعضاء السناتو والتى كان يرى أنه لا مبرر لها. لقد بذل جهداً كبيراً من أجل استرضاء السناتو وتوكيد شرعية حكمه، فقد تبنى اسم قيصر كلقب له – هذا الاسم الذى كان له مكانة كبيرة لدى العامة– واسقط لقب نيرو Nero الذى أخذه بسبب انتمائه لوالده ذو النسل النيروكلودى، وذلك ليؤكد حقه فى النسب الأوغسطى بوصفه حفيد اوكتافيا أخت أغسطس، ولتأكيد صلته بأغسطس المؤله وإعطاء الشرعية المقدسة لحكم السلالة اليوليوكلودية – وكما سوف نرى فيما يلى أن زواجه من أجريبينا ابنة حفيدة أغسطس يرجح أنه كان لنفس الهدف – كذلك احتفظ بلقب جرمانيكوس الشرفى ليعلن صلته بأخيه البطل المحبوب. ورغم كل هذا ورغم ما هو معروف عن كلاوديوس من تحيزه للجمهورية واتخاذه وهو شاب موقف متعارض مع الاتجاه السائد للأسرة الإمبراطورية الحاكمة(٢)، وصداقاته الكثيرة والحميمة مع أسر مرموقة ارستقراطية(٣) فى مرحلة شبابه، رغم كل هذا إلا أن المعارضة السيناتورية ظلت مستمرة وقد وصلت إلى الحرب الأهلية! أن جملة سويتونيوس(٤) التالية تكفى لتبين هذا العداء فهو:

ومن إيطاليا أيضاً، كذلك يذكر سويتونيوس (Suet. Caud.24.1) إنه منح شعار القنصل حتى للوكلاء من الدرجة الثانية ولو رفض أى شخص رتبة السيناتور فإنه كان ينتزع منه رتبة الفارس أيضاً، كذلك يذكر سويتونيوس (Suet. Caud.12.1-2) إنه كان متواضعاً ولا يزهو بنفسه بسبب تقلده للمنصب، رافضاً الألقاب الشرفية المفرطة، كما نال من أعضاء المجلس التصديق على الأعمال القضائية لوكلائه داخل الأقاليم وطالب القناصل بالسماح له باتخاذ الأسواق الخيرية على إقطاعياته الخاصة به، وكان يعتذر لترابنة العامة وهو جالس على مقعد القضاء بمطالبتهم بالوقوف له إذ لم يكن يسمعهم إلا وهم وقوف. وعن رغبته فى أن يكون واحداً من جهاز السناتو راجع أيضاً: cf. Dio, 60, 6.1; 7.4; 12, 2-3. ولقد ظهر هذا أيضاً بوضوح فى أسلوب خطابه مع السناتو بشأن بعض الإصلاحات، والمذكور فى:

BGU 611; Charles worth, Docs. 3, col. 3. (عن هذا الخطاب أنظر فيما يلى ص ١٩٦، ١٩٧)

(1) Dio, 60, 16.2.

(٢) راجع ناهد الحمصانى، "حقيقة مرض كلاوديوس"، ص ص٦٦ –٦٨.

(٣) راجع نفسه، ص ص ٧٠–٧١.

(4) Suet. Caud.13.1-2.

يذكر سويتونيوس أنه قبض على أحد العامة بالقرب من حجرة نومه فى منتصف الليل وفى يده خنجر. ووجد بعض كبار الموظفين الإداريين فى روما ينتظرونه فى أماكن عامة وواحد منهم أراد أن ينقض عليه بسيفه وهو خارج من المسرح، أما الآخر فكان معه سكين وهاجمه وهو فى معبد مارس يقدم قربان. وكان كل من أسينيوس جالوس وستاتيليوس كورفينوس –أحفاد بوليو وميسالا الخطيبين المفوهين–

"لم يلبث طويلاً وتعرض للخيانة وهوجم من أفراد وجماعات وحرب أهلية"
"Nec tamen expers insidiarum usque quaque permansit, sed et singulis et per factionem et denique civil bello infestatus est"

ومن هنا نفهم خطوات الإمبراطور الوقائية وحذره، لذا كان يطلب من زائريه أن يفرغوا حقائبهم ومحافظهم قبل السماح بالدخول عليه[١]. لقد وصل شدة التآمر على الإمبراطور أنه طلب من مجلس السناتو استصدار قانون لحمايته. إن هذا إن دل على شئ فإنما يدل على أن الدعوة إلى عودة الجمهورية كانت شديدة. إن تلك المعارضة السيناتورية برهن عليها أيضاً دليل العملة التى سُكت فى بداية عهده عام ٤١.[٢] حيث يتضح أن إصدار العملة البرونزية (aes) فى روما فى ذلك العام كانت تحمل صورة كلاوديوس على وجه العملة ولقبه، بينما على الظهر صورة إلاهة الحرية (Libertas) وهى واقفة وتحمل فى يدها اليمنى تاج الحرية (Pileus) وعبارة حرية أغسطس LIBERTAS AVGSTA والحرفين الدالين على سلطة السناتو "SC"، بينما فى العام التالى ٤٢ حين بدأ كلاوديوس اتباع سياسة المصالحة مع المعارضة السيناتورية وحصل على لقب أبو الوطن "Pater Patriae" فإن الإصدارات بعد هذا التاريخ تحمل علامة "PP"، مما قد يدل على نجاحه فى سياسة المصالحة.

ومع ذلك فقد استمرت المعارضة من بعض أعضاء السناتو، ولعل السبب الذى جعل كراهية هؤلاء لكلاوديوس أعمق ممن سبقه من الأباطرة يرجع إلى سببين:

الأول: أن كلاوديوس أول الأباطرة الذين أعادوا الرشوة كوسيلة لضمان إخلاص الجند[٣] واستند فى شرعيته على حماية الجند له وبذلك أُسدل الستار للأبد على حلم مجلس الشيوخ فى استعادة السلطة.

أما الثانى: واعتقد أنه الأهم، أن ابتعاد كلاوديوس فترة شبابه عن السياسة[٤] وعدم خبرته فى العمل العام جعلتهم يتصورون أنه قد آن الآوان لعودة الجمهورية أو تحقيق مطامعهم وطموحاتهم. ولعلهم لم يروا فى كلاوديوس تلك

كلاهما قد تآمر للإطاحة به ويساعدهما أحد عبيد الإمبراطور المحررين والرقيق. وقام الثائر كاميلوس سكريبونيانوس والى دالماتيا بحرب أهلية وأُخمد تمرده فى غضون ٥ أيام لأن الفيالق غيرت ولاءها عنه وحولت مقصدها. ويذكر سويتونيوس (Sut. 36) أن الإمبراطور فزع من تلك التقارير التى تذكر وجود مؤامرات ضده واستدعى مجلس السناتو على الفور مصدراً صرخات والدموع تكاد تسيل من عينه قائلاً أنه لا أمان له فى أى مكان.

(1) Suet. Caud.35.2.

(2) Mattingly. H., Coins of the Roman Empire in the British Museum, 1, London, 1923 – BM. p. 185, nos. 14. 5-6, p. 192, nos. 202-205; Swan. op.cit p. 163 f. and n. 54.

(3) Suet.Claud.10.2-4

ما فعله كلاوديوس كان سابقة اتبعتها فيما بعد أجريبينا زوجة كلاوديوس الرابعة وأم نيرون، فحتى تؤمن العرش لابنها وعدت الحرس بالمال من اجل مساعدتها.

(٤) راجع ناهد الحمصانى، "حقيقة مرض كلاوديوس"، خاصة ص ٦٨ وما يليها.

الشخصية ذات السمات السيادية التى كانت لأغسطس[١] أو على الأقل لتيبريوس. ولهذا كثرت المؤامرات ضد كلاوديوس "Claudius". ولعل معرفة كلاوديوس السابقة بالأسر الارستقراطية فى مرحلة شبابه جعلته على علم بمخططات وأفكار المعارضين من السناتوريين للأسرة الإمبراطورية الحاكمة.

ويبدو ان استمرار العداء من قبل عدد من السيناتوريين كان سببا قويا أجبر الإمبراطور على تخفيض فاعلية نفوذ السناتو بعدة إجراءات وقائية وهذا ما سوف يناقشه البحث فيما يلى[٢].

أما الأمر الثالث الذى نلاحظه على روايات المؤرخين فيما يخص الاغتيالات أن بعض هذه الروايات الواردة عند تاكيتوس وسويتونيوس وديو توحى بأن أغلب أحكام الإدانة الصادرة ضد ضحايا كلاوديوس لم تكن لها مبرراتها وإنما ترجع فى الغالب إلى نفوذ وتأثير زوجات الإمبراطور وعبيده المُحَرَّرين. فى حين أن دراسة تلك الحالات الفردية توضح أن هذا التأثير الواقع على الإمبراطور من قبل زوجاته وعبيده المُحَرَّرين كان مبالغاً فيه. فعلى سبيل المثال فى حالة أبيوس سيلانوس C. Appius Silanus (وهو ينتمى بصلة قرابة لـ لوكيوس سيلانوس السابق ذكره) الذى نفذ فيه حكم الإعدام عام ٤٢، تبدو المصادر الخاصة به مشكوك فى صحتها، فمن العسير أن يُصدق أن كلاوديوس فى هذه المرحلة المبكرة من حكمه حيث لابد أن يتسم بسياسة الحذر البالغ والكياسة، يمكن أن يجيز مقتل سيناتور بارز لم تكن هناك تهمة ثابتة أو محتملة ضده اللهم لمجرد حلم رآه العبد المحرر ناركسوس وأكدته ميساليا زوجة الإمبراطور كما يذكر سويتونيوس[٣]. أو أن موته يرجع إلى أنه رفض مضاجعة ميساليا كما يذكر ديو[٤]، وكان يبلغ من العمر فى تلك الفترة نحو عشرين عاما. ومن الغريب إشراك ناركسوس فى هذه الرواية مع علمنا أن ناركسوس هو الذى لاحقا كان سبباً فى إدانة ميساليا[٥]. ومن ثمّ فإن الاحتمال الأكبر هو أن سيلانوس كان من أفراد أسرة بلغت الرقم القياسى فى صراعها

---

(١) لعبت شخصية الاباطرة دورا كبيرا فى هذه الفترة وكان من الصعب أن يأتى شخص مثل اغسطس فى الذكاء والعبقرية حيث استطاع أن يُحجم غرور الجمهوريين بظهوره بمظهر المحافظ على القديم وحرصه على أن تكون سلطاته جميعها دستورية وكسب السناتو إلى جانبه، ووصل التصالح مع الجمهوريين أنه نال لقب ابو الوطن من انصار بروتوس قاتل قيصر الذى حاربه اوقتافيوس نفسه مع أنطونيوس
Cf. Salmon, E. T. "The Evolution of Augustus' Principate". Historia, VI (1956) pp. 450-9; 470-5; Jones, A.H.M "The Imperium of Augustus", JRS., 41 (1951), pp. 112-119; id. Studies in Roman Government and Law. Oxford, Blackwell, 1960; Lacey, W.K. "Octavian in the Senate, Jurnary 27 BC". JRS. 44 (1974), pp. 176-184.

(٢) راجع فيما يلى (ص ١٩٩ وما بعدها) دوافع الإمبراطور نحو التغيير والسياسة المركزية وإجراءات الإمبراطور خاصة المالية والإدارية من أجل تقليص سلطات السناتو، وكذلك (ص ص ١٩٠، ١٩١) الصراع بين الفكر الجمهورى وبين النظام الرئاسى الإمبراطورى.

(3) Suet. Claud. 36.

(4) Dio. 60. 14. 3-4.

(5) Tac. Ann. XI. 30.

المستمر مع الأباطرة وعليه فإن صدور حكم الإدانة لا يمكن أن يكون على أساس دليل من الأوهام وإنما على أساس مؤامرة مدبرة، وقد وُجهت تهمة التآمر بالخيانة العظمى maiestas بالفعل ضد تلك الأسرة عام ٣٢م[١].

وفى الحقيقة أن من الأمور الشائعة التى لُصقت بكلاوديوس هى أن المصادر القديمة حرصت على إبراز قوة تأثير زوجاته عليه وكذلك عبيده المُحَرَّرين[٢] ويعتبر هذا اتهام آخر من جملة الاتهامات التى وُجهت إلى كلاوديوس والتى حرص البحث أن يعرض لأهمها. إن هذا الاتهام فى رأينا جاء نتيجة الحالة المرضية التى أصابت كلاوديوس وهو طفل صغير[٣]، تلك الأعراض المرضية التى ركز عليها المؤرخون القدامى وأظهروا نقاط ضعف فى شخصيته مستغلين آراء أقربائه الأكبر سنا الذين أكدوا على حظه العاثر وقلقهم عليه وهو صغير. ورغم شفاء كلاوديوس من هذه الأعراض بشهادة المؤرخين القدامى أنفسهم أن صحته كانت معتله فيما سبق إلا أنها كانت ممتازة عندما صار إمبراطوراً وأن ما تبقى من أعراض تظهر مع الإجهاد العصبى المفرط تحت ضغط الإثارة، إلا أن الكُتّاب القدامى ظلوا يتهكمون على تلك الأعراض المرضية باعتبارها نقاطاً مذمومة، وركزوا عليها وافترضوا استمرار ضعف كلاوديوس حتى بعد أن صار إمبراطوراً على أقوى عرش على الأرض، وصوروه أنه لا يملك الاستقلال الفكرى بل يفعل ما يمليه عليه الآخرون بمبدأ استمرار الوصاية عليه! ومن هنا كان اتهامهم المزعوم باعتماده على عبيده المُحَرَّرين[٤].

ولهذا فإن هذا الاتهام هو الآخر ينبغى مراجعته فى ضوء معرفة دوافع هؤلاء المؤرخين وتحيزهم السيناتورى[٥]، خاصة إذا أخذنا فى الاعتبار أن هؤلاء العبيد المُحَرَّرين كانوا خصماً كبيراً للسناتو. وأن كلاوديوس كَوَّن مجلساً وزارياً خاصاً به بالقصر[٦] وهو مالم ينص عليه الدستور، وقد منحهم سلطة حقيقية. فلا عجب أن مجلس السناتو، الذى كان

---

(1) Alindon (1956), p.118 راجع فيما سبق حاشية رقم ٤، ص ١٥٩ تاريخ عائلة سيلانوس العدائى

(٢) راجع فيما يلى قضية ميساليا.

(٣) راجع ناهد الحمصانى، "حقيقة مرض كلاوديوس"، ص ص ٥٤-٥٨.

(4) cf. Tac.Ann.XII.53.

إن الذين ألصقوا هذا الاتهام بكلاوديوس استغلوا اعترافه الشهم بفضل فريق عمله المحيط به بحسب ما أورده تاكيتوس هذا أورد الشك بأن كل عمل من أعمال كلاوديوس انطلق من توجيهات المحيطين به. فى حين أن اعترافه الشهم دل على صراحته وبساطته، فقد اعترف بفضل عبد محرر أعطاه كوب ماء أثناء مرضه وهو صغير. هذا يؤكد أخلاقياته التى نلمسها فى أمور عديدة مثل تسامحه مع ابناء المتمردين حتى مع زوجته ميساليا رغم استنكاره لجريمتها البشعة إلا أنه ظل يصفها " بالمسكينة" راجع فيما يلى قضية ميساليا، عن دور العبيد أيضاً فى هذه الفترة راجع:

Treggiari, Susan. "Domestic Staff at Rome in the Julio-Claudian Period, 27 BC. To AD 68, Social History VI (1973), 241-55.

(٥) راجع فيما يلى ص ص ١٨٨-١٩٤.

(٦) كان من أهم التجديدات الإصلاحية التى جاء بها كلاوديوس هو تطويره لوظائف الأمناء التى كان أغسطس قد أوجدها لعدد من مواليه المُحررين والعبيد لمساعدته فى إدارة شئون الإمبراطورية، وقد حولها كلاوديوس إلى دواوين لها اختصاصاتها وجعل لها رؤساء من نخبة

فى السابق يمثل المستشار الرسمى للحاكم، رأى فى مجلس القصر خصماً لدوداً، فكان ذلك مبرراً قوياً للمؤرخين لجعلهم العبيد المُحَرَّرين مجموعة من الآثمين المتهمين بدس المؤامرات والفتن وأن يصفوا سيدهم بأنه نصف ذكى وعاجز عن معارضتهم أو وقف جشعهم(١). وفى الحقيقة أن القول بقوة تأثير العبيد المُحَرَّرين يبدو قولاً غير دقيق يفتقر إلى الإقناع خاصة أن الدراسات الحديثة عن كلاوديوس تميل إلى تصويره بالشخصية المدققة المثابرة بل والمرتابة أحياناً لكل ما يتعلق بسلطته، فقد كرَّس نفسه لجميع الأعمال الإدارية خاصة تلك الأعمال ذات الطبيعة القضائية(٢)، مما يصعب معه القول بأنه قد تورط فى السماح باغتيالات أناساً أبرياءً خاصة أن هناك أدلة كثيرة تبرهن على استقلاله برأيه(٣). ومن ثم

رجاله الطموحين وذلك بسبب ازدياد المسئوليات الملقاه على عاتق الإمبراطور. وكان كلاوديوس بذلك أول من اتخذ سكرتارية منظمة وكان أهم هؤلاء هم ناركسوس (Narcissus) وكان بمثابة السكرتير الخاص ورئيس ديوان المراسلات الإمبراطورية (ab epistulis) وبالاس Pallas رئيس ديوان المالية والنفقات (a rationibus)، وكالستوس (Callistus) وكان بمثابة رئيس ديوان للشئون القضائية (a cognitionibus) وبحث الالتماسات الموجهة للإمبراطور (a libellis) وبوليبيوس مستشار الإمبراطور للشئون الفنية والأدبية وربما أيضاً مختص بما هو متعلق بالسياسة الدينية وتسجيل الوثائق (a studiis). وأصبح البلاط الإمبراطورى لأول مرة المقر الرئيسى التنفيذى للإدارة.

Cf. Weaver, R.C. Familia Caesaris: a Social Study of the Emperor's Freedmen and Slaves. Cambridge U.P., 1972;

ناهد الحمصانى، تاريخ الرومان، رؤية فى سقوط النظام الجمهورى وقيام النظام الإمبراطورى، القاهرة ٢٠٠٨، ص٢٣٥.

(١) راجع فيما يلى قضية ميساليا خاصة رأى تاكيتوس فى ناركسوس وتفسير Mehl للصراع الدرامى الدائر فى القصر (ص ١٨٧).

(٢) لقد تم الكشف عن كم هائل من الوثائق ترجع إلى عهد الإمبراطور كلاوديوس وقد لاحظ دارسى هذه النقوش والبرديات تنوعها وجهود الإمبراطور الضخمة وإجراءاته المختلفة فى مجال القضاء والإصلاحات المالية أو الإدارة الخارجية وكذلك النواحى العسكرية. فهى تكشف عن نشاط مثير للإعجاب، حيث يبدأ عمله نهاراً ولا ينتهى منه إلا عند منتصف الليل. وقد كان يجلس على مقعد القضاء إلى ساعات متأخرة وينتقل من محكمة إلى محكمة ومن مكتب إلى مكتب يراجع أعمال الموظفين ويفحص تفاصيل لا حصر لها ويعد مسودات خطبه وأوراقه الرسمية الخاصة.

Cf. Suet. Claud. 14, 15, 16, 23, 25; Scramuzza, op. cit. p. 35-50; Momigliano, op.cit., p.336-348; Charlesworth, CAH., vol. 10. 1934, pp. 697-701; Taylor, T. Claudius the Administrator?, London, 1998;

روستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى، جـ١، ترجمة ومراجعة زكى على ومحمد سليم سالم، القاهرة، ص١٢٤.

(٣) هناك أدلة على استقلاله برأيه ومثال على ذلك : حين ناهض فى الساعات الأولى من حكمه مجلس السناتو وقراره بإنكار إحياء ذكرى جايوس (Wells, C. The Roman Empire, 2nd ed. London 1992. p.109 f.) كذلك تحديه الرأي العام فى إيطاليا والسناتو عندما قرر منح زعماء الغال عضوية مجلس السناتو (راجع فيما يلى خطاب الإمبراطور فى السناتو)، وخلافاً على رغبة ما سبق من الحكام فى عدم شن حروب خارجية خشية أن تقوم فيالق الجيش برفع القائد المنتصر إلى العرش، فإن كلاوديوس عهد إلى آخرين بمهمة غزو بريطانيا

Dudley & Graham Webster. The Roman Conquest of Britain AD 43-57 (London, 1965); Wells. op. cit., p. 111.

كذلك اضطلع بمشروع ضخم هو بناء ميناء أوستيا على الرغم من فداحة التكلفة التى أقرها المهندسين

Cf. Dio. 60.11; Wells. op. cit. p. 115.

فمن الطبيعى أن يكون كلاوديوس هو المنظم لوزارته البيروقراطية وأن تكون شخصيته قد هيمنت عليها[١]، ويؤكد هذا إدانته لخمسة من العبيد المُحَرَّرين من ذوى الحيثية وردت أسماءهم فى رواية سنيكا[٢].

ونفس الشئ يمكن أن يقال بالنسبة لتأثير زوجاته عليه، فالقول بأنه ربما ضللته زوجاته فلم ير الحقيقة جلية، يبدو هو الآخر أمراً مبالغاً فيه، خاصة وأن لدينا من الأدلة ما يؤكد على أن كلاوديوس كان مستقلاً فى قرارته، فلقد رأى أن يطلق زوجتيه الأولتين[٣] ووافق على مقتل الثالثة ميساليناً[٤]. ورفض منح لقب أغسطا الذى اقترحه السناتو لميساليناً. ولم تستطع أجريبينا انقاذ أحد عملائها وهو تاركويتيوس بريسكوس من الطرد المهين من السناتو[٥] بعد أن هاجمه ستاتيليوس كوروس من أجلها، بل إن زواجها من الامبراطوركان فيما يبدو من خلال خصوصية نسبها الأوغسطي علي نحو مايذكر تاكيتوس، ومع ذلك فقد ذكر سويتونيوس ان الامبراطور وهو علي فراش الموت كان يتمني تغيير وصيته وأن يخلفه إبنه بريتانيكوس وليس نيرون بن اجريبينا، وهو ماسوف يأتي ذكره فيما بعد.

ونختم حديثنا عن قضية الاغتيالات بطرح السؤال التالى وهو كيف رسخ فى الأذهان فكرة عداء كلاوديوس للسناتو؟ يجيب عن هذا التساؤل مقولة وردت عند سنيكا[٦] وهى ذات دلالة بالغة، حيث أنه يعدد جرائم الاغتيالات دون الإشارة إلى سقوط أى سيناتور ضحية بتأثير العبيد المُحَرَّرين ولا زوجات الإمبراطور، مما يدل على رغبة سنيكا فى أن يحمل الإمبراطور المسئولية وحده، واكتفى فقط فى إشارة إلى ذكر ناركسوس فى حالة واحدة وهى إعدام سيليوس وأعوانه، على الرغم من ذكره حقيقة أنهم دبروا مؤامرة خبيثة ضد الإمبراطور! فسنيكا هنا من جانب يحمل الإمبراطور المسئولية الكاملة فى هجومه على السناتو، ومن جانب آخر يذكر أن هناك مؤامرة خبيثة حيكت ضد الإمبراطور! فهو بذلك يتفق مع القول بأن الاغتيالات التى حدثت فى عهد كلاوديوس كان مُجبراً عليها، فهى رد فعل للمؤامرات العديدة التى دُبرت ضده. وبناء عليه يكون اتهام كلاوديوس بالطغيان فيه افتراء ومبالغة من المصادر الأدبية القديمة، ويكون سنيكا هو أول من شوه صورة كلاوديوس وقلده بقية المؤرخين القدامى، وسوف يناقش البحث قضية الاغتيالات هذه مرة أخرى عند

---

(1) Momigliano, op. cit., p. 43; Scramuzza, op. cit., p. 87.

(2) Seneca. Apoc.13; cf. Suet. Claud. 25.1:

يذكر سويتونيوس أيضاً أن كلاوديوس صادر أملاك العبيد المحررين الذين بلغوا رتب الفرسان ثم هبطوا إلى منزلة العبيد المحررين مرة أخرى بسبب جحودهم لأسيادهم السابقين أو بسبب شكوى رُعاتهم. وأعلن للمحامين عن أولئك العبيد المحررين إنه لن يرحب بإقامة دعوى مرفوعة ضد رُعاتهم.

(٣) راجع ناهد الحمصانى، "حقيقة مرض كلاوديوس"، ص ٧٠.

(4) Tac. Ann. XI, 37.8; Suet. Claud. 26. 2. راجع فيما يلى قضية ميساليناً

(5) Tac. Ann. XIV, 46; Dio, 60.12.5; Charlesworth, CAH. 10, p. 698.

(6) Seneca. Apoc. 8, 10.

الحديث عن دوافع الإمبراطور نحو التغيير وسلطتة المركزية والصراع الأيديولوجى بين الفكر الإمبراطورى والمعارضة السيناتورية.

ونخلص مما سبق فى قضية الاغتيالات المنسوبة إلى كلاوديوس بعدة نتائج:

١- إن اعتلاء كلاوديوس للسلطة على يد الحرس الإمبراطورى قابله موقف رافض من فريق من أعضاء السناتو، ومن ثم كان تقلده للسلطة على مضض من هؤلاء، وكان هذا بداية للتآمر ضد كلاوديوس فظهرت المؤامرات منذ السنة الأولى من حكمه.

٢- أن اتهامه بأن كثير من الاغتيالات كان بدافع تأثير زوجاته أو عبيده المُحَرَّرين كان الهدف من ورائه هو إظهار المؤرخين القدامى الإمبراطور بمظهر الضعيف الأحمق، إلا أن هذا الاتهام مبالغ فيه أيضاً فى ضوء شخصية كلاوديوس المستقلة والمدققة وحرصه فى ذات الوقت على سياسته التى أرساها الخاصة بالمصالحة مع السناتو.

٣- إذا كان كلاوديوس مسئولاً عن أغلب إجراءات الإعدام وحوادث الانتحار التى تمت فى عهده (كما أكد على ذلك سنيكا) فإن هناك ارتباط وثيق بين حوادث الإعدام وبين المعارضة المُعاندة وهو مالم تعترف به المصادر[١]، مع ملاحظة أن هذه المعارضة لم تشمل كراهية عامة لكل ما هو إمبراطورى وإنما المعارضة صدرت من أسُر معينة أو أفراد بعينها من أسُر سيناتورية لها تاريخ عدائى مع الأباطرة ، وهولاء يمثلون الحزب المتشدد المعارض للاباطرة.

٤- إن غياب التسلسل الزمنى لعداء الأُسر السيناتورية المشاركة فى هذه الأحداث يوحى بأهمية السنوات المفقودة السابقة على الكتاب الحادى عشر لتاكيتوس. فتلك الفجوة فى سرد الأحداث ترجع إلى ضياع كُتب تاكيتوس (ما بين الكتاب السادس والحادى عشر). فكتب تاكيتوس التى تتناول عهد كلاوديوس (XI, XII) تغطى الفترة من ٤٧-٥٤م وبالتالى هى لا تغطى السنوات الأولى من حكمه أى بداية توليه الحكم، وخاصة علاقة الإمبراطور بالسناتو. وربما تلك الكتب المفقودة كان من شأنها أن تشرح لنا أسباب حوادث انتحار أو إعدام بعض أعضاء السناتو فى بداية عهد كلاوديوس من جهة، وربما تشرح لنا كذلك أسباب ذلك التحول الذى حدث فى سياسة كلاوديوس من جهة أخرى[٢].

---

(1) Alindon (1957), p. 281; cf. Syme, op. cit. p. 385.

إن المصادر تتعمد إخفاء الحقيقة فمثلاً سيوتونيوس (Suet. 27; 29) وكذلك ديو (Dio. 60, 29.) عند تسجيله لحادث موت بومبيوس ماجنوس Pompeius Magnus لا يذكر أن والده م. ليسينيوس كراسوس فروجى، وأمه سكريبونيا كانا متهمان فى نفس الوقت ربما بنفس التهمة. وهناك سيناتور آخرين كانوا ضمن سقوط هذه الأسرة النبيلة، فالمعروف أن الأب كَرم بشارة النصر التزينية والأم سيدة نبيلة وكان ابنها متزوجاً من أنطونيا ابنه كلاوديوس الكبرى من (Aelia Paetina).

(٢) راجع فيما يلى دوافع كلاوديوس نحو التغييرات التى أدخلها فى نظم الإمبراطورية خاصة سياسته المركزية (ص ١٩٤، ١٩٩ ومايليها).

٥- القديمة، التى حرصت أخيراً إن تناقض الروايات الذى يبدو واضحاً من شأنه أن يدفعنا إلى الشك فى تلك المصادر الأدبية على إبراز عداء كلاوديوس للسيناتوريين والتأكيد على الجوانب السلبية فى شخصيته.

ثانيا: تشويه صورة كلاوديوس واتهامه بالحمق والبلادة وتناقض الشخصية أو لغز الشخصية كما رسمها القدامى ونقد منهجهم

لقد لوحظ من خلال مناقشة الاتهام الأول أن هناك شبه اتفاق بين المصادر على تشويه صورة كلاوديوس وإظهاره بأنه طاغية وسوف يتابع البحث فيما يلى اتهام آخر لكلاوديوس بالحمق والبلادة وتناقض الشخصية أيضاً وذلك من خلال عرض بعض روايات القدامى ونقد منهجهم.

١- رواية سنيكا عن كلاوديوس ونقد منهجه

يعتبر سنيكا المعروف بسنيكا الأصغر[١] واحداً من معاصرى كلاوديوس "Claudius"، الذى لعب دوراً مهماً في أدب تلك الفترة و توجيه سياسة الدولة اثناء حكم أكثر من إمبراطور من خلفاء أغسطس من الأسرة اليوليوكلودية[٢]. ولقد أصدر الإمبراطور كلاوديوس حكماً ضده بالنفي إلى جزيرة كورسيكا، يقال انه اثر مكيدة دبرتها له ميسالينا زوجة الإمبراطور[٣]. وقضي سنيكا في المنفي ثمانية أعوام (٤١-٤٩م) بعيداً عن ابنه وزوجته التى توفيت أثناء منفاه، فضلاً عن موت ابناً آخر له قبل ذهابه للمنفى. تلك الأحداث لابد و أن أثرت على سنيكا حتى بعد ان ذاع صيته و نال حظوة في عهد الإمبراطور نيرون حيث صار معلم الصبي نيرون مستشار الإمبراطور الأول. يهمنا من أعمال سنيكا[٤]

---

(١) هو لوكيوس أنايوس سنيكا ولد فى قرطبة بجنوب أسبانيا (٤-٦٥م) والمعروف بسنيكا الفيلسوف تمييزاً له عن والده أنايوس سنيكا المعروف بسنيكا الأكبر أو الخطيب المولود عام ٥٤ ق.م. وسينكا الأصغر هو أحد أولاده الثلاثة، وقد وجهت تهمة الخيانة العظمى إلى أخويه وأُرغما على الانتحار أثناء حملة التطهير بعد اكتشاف مؤامرة بيزو ضد الإمبراطور نيرون. كذلك صدر حكم بموت سنيكا رغم اعتزاله الحياة السياسية وإعفاءه من منصبه كمستشار للإمبراطور نيرون، وأرغم سنيكا على الانتحار عام ٦٥م (عبد المعطى شعراوى، سنيكا، القاهرة ٢٠٠٢، صـ ١٠-١٥.

(٢) شغل منصب كوايستور (ربما قبل وفاة تيبريوس) وحقق نجاحاً باهراً فى الخطابة، وآثار حقد الإمبراطور كاليجولا (٣٧-٤١) واعتكف الحياة العامة مؤقتاً. عاد إلى الحياة العامة عندما تولى الحكم كلاوديوس (٤١-٥٤) ولكنه سرعان ما اضطر إلى الانسحاب مرة أخرى، ونال حظوة فى عهد نيرون فكان مستشاره الأول (عبد المعطى شعراوى، المرجع نفسه، ص١٢، ص ١٣).

(٣) يقال أن ميسالينا ادعت وجود علاقة غرامية بينه وشقيقة الإمبراطور كاليجولا. (عبد المعطى شعراوى، المرجع نفسه، نفس المكان).

(٤) تضم أعمال سنيكا النثرية ثلاث مجموعات المجموعة الاولي تتكون من ١٢ كتاب تضم ١٠ مقالات تحت عنوان واحد وهو "حوارات Dialogi" ومن هذه الكتب ثلاث كتب تحت عنوان "تعازى Consolationes" وأحدهما "تعازي الي بوليبيوس" والآخر موجه الي والدته

عمليين خاصيين بالإمبراطور كلاوديوس احدهما هو "تعزية إلى بوليبيوس" Consolatio Ad Polybium وهو موجه إلى سكرتير الإمبراطور العبد المُحَرَّر بوليبيوس حيث يحثه على الخروج من منفاه من خلال تملقه في تعزيته في فقد شقيقه(١).

اما المؤلف الآخر فهو رواية سنيكا عن تأليه كلاوديوس "Apocolocyntosis" وهي هجاء ساخر(٢). لقد وصل هجاء سنيكا إلى حد التجريح في الإمبراطور من خلال الكلمات الاخيرة التي اوردها على لسان الإمبراطور نفسه: وآسفاه أظن انني لوثت نفسى (خبصتُ)، وسواءً فعل ذلك أم لم يفعل فانه هو الذي أشاع الفوضي في كل شئ بالتأكيد.(٣)

"vea me, puto, concacavi me. " Quod an fecerit, nescio omnia certa concacavit"

وفي عرضه للحظة موته يعرض حوار اسطوري بين آلهة القدر وميركوري Mercury الذى يحثها ان تنتزع روحه: اقتلوه، اجعلوا الشخص الأجدر يحكم فى بلاطه الخالى"(٤): *"Dede neci, melior vacua sine regent in aula"*

ويذكر أيضاً ان (كلوثو) Clotho: أخذت تلف الخيط حول جسده القبيح حتى تنتزع آخر بصيص من حياته الإمبراطورية البليدة(٥).

هلفيا Ad Helviam matrem و الثالث الي ماركيا و هي أم ثكلي Ad Marciam. والمجموعة الثانية : تضم أربع أعمال نثرية وهي: Apocolocyntosis و ثلاثة اعمال اخري عن الرحمة De clementia والأعمال الخيرة Beneficiis ومسائل طبيعية Naturales Quaestiones والمجموعة الثالثة تضم ١٢٤ رسالة موجهة الي لوكيليوس Lucilius تحمل عنوان رسائل اخلاقية Epistulae Morales. (عبد المعطي شعراوى، المرجع نفسه، ص ص. ١٧-١٨).

(1) Seneca. Ad Poly. 14-16 .3

(2) Seneca. Apoc.1. حيث يوجه سنيكا النقد إلى كلاوديوس

Quis unquam ab historico iuratores exegit?

ويتساءل: من هو الشخص الذى جعل المؤرخ شاهد عليه باللعنة ؟

(3) Seneca. Apoc. 4f. p. 380.

(4) Seneca. Apoc. 3. 1 p. 373.

فقد انتحى ميركورى بجوار إحدى آلهات القدر الثلاث وقال أيتها العجوز الشمطاء، لماذا تدعين هذا الفقير المسكين معذباً، أبعد هذا العذاب لا يجد ثمة راحة، أربع وستون عاماً الآن منذ أن بدأ يشقى حتى يلفظ أنفاسه، ما ذلك الحنق والحقد الذى تضمرينه له وللإمبراطورية كلها، دع المنجمين يخبروننا بالحقيقة ولو مرة واحدة، فمنذ أن تقلد حكم الإمبراطورية وما من عام واحد ولا شهر إلا وهم يجهزون لدفنه .. لم يصدق أحد أنه لم يزل حياً فعلاً، افعلوا شيئاً أقتلوه ويتولى من هو أصلح منه الحكم .....

(5) Seneca. Apoc. 3. 2, 4. p. 374.

من الغريب أن سنيكا أيضاً ينتقد كلاوديوس على لسان أغسطس، سوء معاملته لأفراد أسرته من ذوى الفرع الكلوديانى، وعتاب لكلاوديوس على سوء المعاملة هذه. فى حين أن سويتونيوس (Suet. 11. 2-3) يعدد مظاهر تكريم كلاوديوس لأسرته مما يوضح ولائه الشديد لها! فقد اتخذ قسماً رسمياً مقدس وهو القسم بأغسطس واحتفظ بألقاب شرفية لجدته ليفيا. ومنح عطايا عامة فى ذكرى والديه فضلاً عن الألعاب السنوية فى السيرك. وأخرج كوميديا إغريقية عن النزاع الدائر فى نابلس فى ذكرى شقيقه جرمانيكوس ولم يترك جده أنطونيوس بلا تكريم،

"Haec ait et turpi convolvens stamina fuse abrupit stolidae regalia tempora vitae"

اذن سنيكا هو أول من وجه النقد إلى كلاوديوس وقد تعمد تشويه صورة الإمبراطور وبالغ في الاستهزاء به والتهكم عليه. ان اتهام سنيكا للإمبراطور بالحمق والبلادة لابد وأنه أثر فيمن جاء بعد سنيكا من مؤرخين كتبوا عن هذا الإمبراطور واتهموه ايضا بتلك الصفات(١).

اما عن سبب تشويه سنيكا المتعمد لكلاوديوس ، فان إجابة هذا السؤال يذكرها سنيكا بنفسه حين اعترض على تصرف الإمبراطور في رغبته ان يلبس العباءة الرومانية التوجا Toga لجميع شعوب الإمبراطورية – الإغريق – الغال – الأسبان – البريطانيين ، تلك العباءة التي لا يرتديها الا المواطنون الأحرار(٢). *"Constituerat enimomnes Graecos, Gallos, Hispanos, Britanos Togatos Videre".*

هكذا كان سنيكا من انصار الحزب السيناتوري المتشدد الرافض للتغيير في إعطاء امتيازات المواطنة الرومانية للشعوب غير الرومانية، كذلك فان عمله السياسي "رسالة إلى بوليبيوس" الخاص برسالته إلى عبد كلاوديوس المحرر، توحي أيضا بفكر سنيكا وعلاقته بعبيد الإمبراطور وضيقه من تلك التغييرات التي حدثت في النظام السياسي للدولة حيث سيطرت الإدارة المركزية والبيروقراطية على نظام الدولة، و صار الإمبراطور هو كل شئ، وسيطرت على الحياة السياسية فئة قليلة تصل إلى المناصب العليا من خلال رضا الإمبراطور أو رضا أحد أفراد بطانته(٣).

كان سنيكا ذلك الفيلسوف والأديب من الذين روجوا للمذهب الرواقي "الروماني" في مؤلفاتهم وكان يهتم بالدرجة الاولي بالتركيز على الناحية الأخلاقية. ولقد سعي هؤلاء في العصر الأوغسطي إلى الفضيلة كسند روحي يلجأون إليه في صالوناتهم ومحاضراتهم للإحساس بالاطمئنان و نقلوا في أعمالهم ومحاضراتهم المناقشات الحامية عن دور السناتو الذي فقد سلطته، خاصة وان سنيكا قد عانى هو نفسه وأخويه من الظلم الامبراطورى(٤). من هنا كان سنيكا أول من اتهم الإمبراطور كلاوديوس بالاغتيالات المتعددة(٥). إلا انه من الملاحظ ان تلك الروايات سواء عند سنيكا أو غيره التي تذكر إدانة الأباطرة لبعض الشخصيات البارزة التي حُكم عليها بالإعدام تتحاشي ذكر اسم السناتو رغم ان الدور الذي لعبه السناتو في إصدار تلك الإدانات معروف منذ عهد الإمبراطور أغسطس حين جعل السناتو هيئة تشريعية تسن

وأهدى القوس الرخامى إلى روح تيبريوس. أما جايوس حتى يلغى أعماله من الذاكرة فإنه لم يسمح بإضافة يوم موته إلى سلسلة الإحتفالات رغم أنه كان يوافق يوم بدء حكمه للبلاد.

(1) Tac.Ann. XI. 23, XII.3; Suet. Claud. 39. 2-5; 40. 3.

(2) Seneca. Apoc. 3. 3. p. 374; cf. Dio. 60. 17. 5, ff.

(3) Momigliano, op. cit, 39 ff.

(٤) عبد المعطي شعراوى، المرجع السابق ، ص١١، ص١٥.

(5) Seneca. Apoc. 10 ff. p. 392 ff.

القوانين وكذلك محكمة دستورية قضائية و تنفيذية تحاسب افرادها بعضها البعض ضد جريمة الخيانة العظمى.[١] ان تحاشي سنيكا بطريقة دبلوماسية ذكر مسئولية السناتو عن المشاركة في اغلب أحكام الإدانة يمثل سوء عرض متعمد من سنيكا وتحيز حزبي يفسر منهج خاص اتبعه من جاء بعد سنيكا وهو سياسة الحذف مما يجعل تلك الروايات المرتبطة بكلاوديوس مشكوك في مصداقيتها بل ربما يعكس عقدة الذنب السيناتورية عند المؤرخين القدامى، التي نجدها في تقليد لاحق في صورة الاستهجان المبالغ فيه على الأباطرة ولأهل بيتهم ونظم حكمهم، وإضفاء غموض على ما يخالف تاريخ رجال السناتو البارزين Illustrium virorum والدور الذى لعبه السناتو فى إصدار القوانين التى أدت إلى إدانة سيناتوريين بأعينهم[٢].

٢ – رواية تاكيتوس عن الإمبراطور كلاوديوس ونقد منهجه

لقد وضح إذاً أن أول صورة ساخرة و مشوهة للإمبراطور وصلت إلينا كانت من معاصره سنيكا ولقد أثرت فيمن جاء بعده من مؤرخين وكتبوا عنه خاصة سويتونيوس وكذلك تاكيتوس (٥٦–١٢٠م)[٣]. ورغم ان تاكيتوس الذي يعد من أفضل مؤرخي القرن الأول الميلادي قد تناول شخصية وحكم الإمبراطور بأسلوب أكثر لطفا من أسلوب سنيكا المتهكم أو سويتونيوس الذى كان كثير المبالغة، الا ان هناك بعض المآخذ السلبية في تناول تاكيتوس لشخصية كلاوديوس.[٤]

---

(١) ناهد الحمصانى. تاريخ الرومان، ص ص ٩٨–١٠٠؛ راجع:

Earl Donald, The Age of Augustus. London, 1968; Syme. R. The Augustan Aristocracy, Oxford. U.P. 1986.

(2) Alindon, (1956), p.119; cf. Scramuzza, op.cit. ch.1. ناقشت م. سكرموزا منزلة السناتو فى تلك الفترة.

(٣) هو كورنيليوس تاكيتوس Cornellius Tacitus ولد عام ٥٦ من أصل غالي على الارجح او سلالة ايطالية شمالية بدأ حياته العملية في عصر فسباسيانوس، تزوج عام ٧٧ من ابنة اجريكولا Agricola حاكم بريطانيا و شغل منصب برايتور عام ٨٨ وشاهد وحشية دوميتيانوس في سنوات حكمه الأخيرة. وشغل منصب القنصلية suffectus عام ٩٧ وبروقنصل في اسيا الصغرى عام ١١٢–١١٣م. اول اعماله هو حوار الخطباء dialogus de oratoribus ثم يلي ذلك **Agricola** ثم germanica . اما عمله المعروف باسم التواريخ **Historiae** فقد حدد تاريخه بالفترة ٦٩–٩٦م واتبعه بعمل تاريخي آخر هو الحوليات Annales وهو العنوان الاصطلاحي لعمله المعروف باسم "منذ رحيل اغسطس المقدس" ab excessu Divi Augusti (بصفة عامة يبدو ان تاكيتوس لم يشأ تسجيل الحاضر واجتذبته احداث الماضي) بدأ تاريخه في الحوليات باعتلاء تيبريوس العرش. ونحن لدينا الكتب من ١ الي ٦ ومن ١١ الي ١٦ فبالتالي هناك أربعة كتب مفقودة و تثار أسئلة كثيرة حول تواريخ و حوليات تاكيتوس مثلا: كيف رتب تاكيتوس مادته في الأجزاء المفقودة من العملين .. راجع احمد عتمان، الأدب اللاتينى فى العصر الفضى، ص ص ٢١٠–٢٢١ ؛ عبد المعطي شعراوي، النقد الادبي عند الإغريق، ص ٣١٤ – ٣١٥.

(٤) راجع شخصية كلاوديوس لدى تاكيتوس فى تلك الفقرات

(Tac. Ann. XI.5; X11, 11; X11.22; X11.52; X11.53. 2-3; X11.61.1); cf. Suet Claud. 9; 4.

وسوف يقتصر هذا البحث على تناول موضوعين عرضهما تاكيتوس كنموذجين لبيان منهج تاكيتوس. الموضوع الأول هو معالجة تاكيتوس لخطاب الإمبراطور في السناتو وهو الخطاب الخاص بدخول بعض زعماء الغال إلى المجلس وهذا الخطاب حفظته لنا أيضا لوحة ليون[1]. اما الموضوع الثاني، هو بعض فقرات من رواية تاكيتوس المرتبطة برقابة كلاوديوس وبقضية ميساليا زوجة الإمبراطور. ومن خلال هذين النموذجين سنتعرف على شخصية كلاوديوس وسنوضح منهج تاكيتوس و نتناوله بالنقد. ان التركيز على رواية تاكيتوس في هذا البحث راجع لان تاكيتوس يعد أهم مؤرخى عصر كلاوديوس "Claudius"، كذلك لأن المصادر الأخرى التي جاءت بعده سواء سويتونيوس أو ديوكاسيوس أخذت عنه و تأثرت بأسلوبه ومنهجه.

أ – رواية تاكيتوس حول خطاب الإمبراطور في السناتو الخاص بزعماء الغال[2]

واليك فحوى نص الخطاب:

> يذكر تاكيتوس: لقد سعي رؤساء من غاله كوماتا – كما كانت تُدعي – وهم الذين كانوا قد امتلكوا منذ أمد حقوق الحلفاء والمواطنة الرومانية، قد سعوا إلى نيل امتياز الحصول على مناصب عامة في روما .... وأُثير الجدل امام الإمبراطور بمعارضة شديدة من مجلس الشيوخ. فايطاليا كانت بالتأكيد ليست ضعيفة بحيث تعجز عن مد عاصمتها بأعضاء لمجلس الشيوخ ... ما الذي سيبقي لأسرنا النبيلة أو لاي سيناتور من لاتيوم، كل مكان سيمتلئ بأولئك الذين قام أسلافهم من الجيل الثالث على رأس القبائل المعادية بتدمير جيوشنا بالنيران والسيف ... دعهم يتمتعون حقا بلقب مواطنين ولكن لا تسمح لهم بأن يحطوا من قدر مجلس الشيوخ وشرف المنصب بحيث يفقد تميزه".

هكذا يعرض تاكيتوس كواحد من المناصرين للنظام الجمهوري لوجهة نظر السناتو وسبب المعارضة السيناتورية وهو الخوف على امتيازات الأسر النبيلة وهيبة المجلس وشرف المنصب.

ويتابع تاكيتوس[3] برد الإمبراطور أو خطابه في السناتو فيذكر:

يهاجم سويتونيوس كلاوديوس فى مواطن كثيرة وعلى سبيل المثال فقد اتهمه باغتيال ٣٥ سيناتور وأكثر من ٣٠٠ فارس. واتهمه بالغفلة وعدم الإدراك أمام تأثير زوجاته وعبيده المحررين. راجع أقوال أخرى لسويتونيوس عن شخصية كلاوديوس، سويتونيوس فى: ناهد الحمصانى، "حقيقة مرض كلاوديوس"، خاصة صفحات ٦٢ (حاشية ٣)، صـ٦٣، ص٧٤ (حاشية ٢).

(1) Tac. Ann. XI., 24.1; cf. Ph. Pabia, La Table Claudien de Lyon, Paris, 1929; ILS 212; Smallwood. Docs. 369.

(2) Tac . Ann . XI . 23.

هذه ترجمة عربية لفحوى خطاب كلاوديوس اللاتينى المترجم إلى الإنجليزية كما هو وارد فى: Leob. Classical library

(3) Tac. Ann. XI. 24.

ان هذا الجدل وأمثاله لم يستطع ان يؤثر شيئا في الإمبراطور ففي الحال جهز نفسه للرد عليهم وبهذا ألقى خطابا مطولا يفيض حماسة على النحو التالى:

ان اجدادي يشجعونني على ان أمارس الحكم بنفس السياسة وهي نقل كل المزايا إلى هذه المدينة الكبيرة . وكحقائق فان اليوليولين julii اتوا من ألبا والبورسيين Porcii أتوا من توسكولوم Tusculum وأعضاء جدد آخرين دخلوا مجلس الشيوخ من ايتوريا ولاكونيا وكافة أنحاء ايطاليا. وايطاليا نفسها امتدت أخيرا إلى أطراف جبال الألب بحيث توحد فيها ليس فقط أشخاص منفصلين وإنما دول كاملة و قبائل انصهرت ضمن اسمنا.

إننا لم نزعزع السلام في الداخل وازدهرنا على مستوي علاقتنا الخارجية، في الوقت الذي كانت فيه ايطاليا خلف البو تسمح بان تتقاسم المواطنة التي تمتلكها. وعندما أدرجنا أكثر الأقاليم حيوية خلف البو داخل صفوفنا وسمحنا لهم ان يقاسمونا المواطنة تمتعنا باستقرار فيالقنا عبر العالم وقمنا بتدعيم إمبراطوريتنا المنهكة.

لقد جاءنا من اسبانيا رجال مشهورين فهل نأسف على قدوم الـ balbi من اسبانيا، ومن بلاد الغال القريبة جاءونا آخرين لا يقلون شهرة، ان نسلهم لا يزالون بيننا ولا يقلون عنا وطنية.

لقد كانت اسبرطة وأثينا من المدن الكبيرة وقت الحرب ولكنهما نبذتا تلك المناطق التي سبق ان فتحت و اعتبرتها مناطق أجنبية فماذا بقي من اسبرطة وأثينا بعد اندثارهما؟ اما رومولوس فعلي العكس كان مؤسسا حكيما للغاية قاتل من قاتله باعتبارهم أعداء له ثم حياهم باعتبارهم مواطنين من عدة أمم في نفس اليوم.

ان العناصر الغريبة كانت ملوكاً علينا و ينبغي ان تُسند الوظائف العامة لأبناء العبيد المُحَرَّرين وكثيرا قالوا: كلا لا ينبغي وهذا خطأ في تفكيرهم فهذا كان سلوكا سائدا داخل اتحادنا القديم ... إننا قاتلنا الفولسكي والايكوي ... وأخذ الغال مدينتنا ونحن أيضا أعطينا رهائن للتوسكانين، واستطعنا ان نمر من نير السامنيين أننا لو راجعنا كل حروبنا لن نجد واحدة منها قد وضعت أوزارها في وقت اقل من تلك التي كانت مع الغال.

مغزي خطاب كلاوديوس

ان تلك الفقرات السابقة توضح ما يتمتع به الإمبراطور كلاوديوس من حصافة وحماسة وأسلوب في الحجة والإقناع وذلك من خلال شرح مستفيض لتجربة تاريخية عايشها السناتو ورجاله بأنفسهم، لقد عمل على تذكيرهم بواقع ماثل أمام أعينهم. لقد ذكرهم بحروب روما الكثيرة مع جيرانها وكيف استوعبت من حاربتهم وحاربوها وكونت الاتحاد الايطالي وان هذه الحروب لا تقل عن حربهم مع الغال.

ان كلاوديوس فى محاولته إقناع أعضاء السناتو للسماح بدخول بعض رؤساء الغال المجلس يذكرهم انه لم يخرج عن سياسة أجداده وما يفعله ليس ببدعة.

يتضح أيضا من خطاب كلاوديوس ثقافته(١) ومعرفته التاريخية الواسعة بتاريخ روما والأُسر والأنساب الايطالية، كذلك كان لديه معرفة جغرافية، وتتضح أيضا فلسفته في مقارنة روما بمدن أخري مثل أثينا واسبرطة.

كذلك يوضح الإمبراطور فى خطابه السبب وراء رغبته فى دخول زعماء من الغال السناتو عندما يذكرهم بالحقيقة التالية:

> لقد حافظوا على موالاة وسلام دائمين وهم الآن متوحدين معنا سلوكا وثقافة ورابطة زواج، فدعهم يأتوا بما لديهم من الذهب والثروة ونستمتع معا بها بدلا من أن يستقلوا وحدهم بالتمتع بها.(٢)

أما فلسفته وما كان يتمتع به من رؤية مستقبلية وبُعد تاريخي فإنه يتضح من تلك العبارات:

> كل شئ أيها السنياتوريين مما نحوزه الآن بأيدينا ويتصف بأرقي ما نحوزه من تراث تاريخي كان من قبل جديدا، فقد جاء الحكام من العامة بعد الأشراف ، والحكام اللاتين جاءوا بعد العامة. والحكام من الشعوب الإيطالية الأخرى جاءوا بعد اللاتين. إن فعلنا هذا سيرسخ نفسه. أن الفعل الذي نبرره اليوم بأفعال سابقة سيصير هو نفسه من قبيل السابقة.(٣)

هكذا فإن الإمبراطور كلاوديوس من خلال دراساته التاريخية(٤) يضع رؤية مستقبلية نحو التطوير(٥). كذلك فإن الإمبراطور يستشعر أن هذه العملية ستستمر فى المستقبل (وهذا بالفعل ما حدث فى عهد الفلافيين والانطونينين)(٦).

- **نقد منهج تاكيتوس فيما يخص خطاب كلاوديوس فى السناتو**

بعد هذا العرض الجيد والمتعاطف من تاكيتوس لخطاب كلاوديوس الذي تتضح فيه شخصية الإمبراطور الإيجابية، وما يتمتع به من منطق وحسن أسلوب فى الإقناع، يناقض تاكيتوس نفسه ويصف ما فعله الإمبراطور بدخول جماعات

---

(١) راجع ناهد الحمصانى، "حقيقة مرض كلاوديوس"، ص ص ٦٥-٦٦.

cf. Roller, W.D. Scholorly Kings: The writings of Juba 11 of Mauretania, Archelaos of Kappadokia, Herod the Great, and the Emperor Claudius. Chicago, Ares Publishers, 2004 .

(2) Tac . Ann . XI . 24; راجع فيما يلى ص ٢٥٠ وحاشية رقم ٤.

(3) Tac . Ann . XI . 24.

(٤) راجع دراسات الإمبراطور التاريخية : ناهد الحمصانى، "حقيقة مرض كلاوديوس"، نفس المكان.

(5) Sherwin-white, A. N., "The Roman citizenship". Classical Quarterly, 32 (1982), pp. 416-17.

(6) Idem.

الـ "Aedui" من الغال ومنحهم حق العضوية السيناتورية هو محاباه ومجاملة رغم ذكره أن الإمبراطور فعل ذلك بسبب تحالفهم القديم فهم وحدهم من الغال الذين حملوا لقب أخوة الشعب الرومانى.[١] "et quia soli Gallorum fraternitatis nomen cum populo Romano usurpant". إلا أن تاكيتوس حذف من كلام كلاوديوس الخدمات التي قدمتها بلاد الغال له ولوالده وهو ماأكده خطاب الامبراطور نفسه المذكور علي لوحة ليون[٢].

ويري سيم "Syme"[٣] أن منهج الحذف الذي اتبعه تاكيتوس فى سرده التاريخي عن كلاوديوس يظهر فى أكثر من مناسبة . ويؤكد على أن تاكيتوس علم بحقيقة خطاب كلاوديوس هذا والذي حفظه لنا أيضا لوحة ليون بل أن تاكيتوس علم به قبل أن يكتب روايته التاريخية عن كلاوديوس "Claudius"، إذ عُثر على إشارة إلى ذلك فى الكتاب الرابع للحوليات (Ann. IV. 65) وأن تناول تاكيتوس لذلك الخطاب فى سرده التاريخي في الكتاب الحادي عشر (Ann. XI. 24) أوضح مثال على استخدام تاكيتوس للمادة المعلوماتية الخاصة بكلاوديوس. بهذه الأطروحة استطاع سيم "Syme" أن يكشف الكثير عن مصادر مادة تاكيتوس المعلوماتية التى استخدمت فى الحوليات الخاصة بكلاوديوس وهي استخدامه أعمال السناتو"Acta Senatus". ويتساءل سيم "Syme" لماذا لم يستعمل تاكيتوس ذلك فى البحث عن خطب أخري للإمبراطور ؟.[٤].

أن خطاب الغال هو الخطاب المطول الوحيد الذي أورده تاكيتوس بينما معظم المقولات المنسوبه إلى كلاوديوس يسردها تاكيتوس مقتضبه وموجزه !. [٥]

وتشارك مريم جريفين M. Griffin،[٦] سيم Syme الرأي فيما يتعلق بمنهج الحذف عند تاكيتوس، وتجيب عن تساؤل "سيم" فيما يخص استخدام تاكيتوس للمادة الكلودية دون أن يقر بذلك، وتخص كلامها فى هذا الشأن بتلك الاستطرادات التي وردت فى المصادر الأدبية القديمة والتي يري معظم الدارسين أنه يمكن تتبع أثارها فى خطب كلاوديوس ؛ مثل رغبة الامبراطور اضافة ثلاثة حروف الي الأبجدية اللاتينية[٧] وإجراءاته حول الفرسان[٨]، والآباء

---

(1) Tac . Ann . XI . 25.

(2) ILS. 212, col. 11.10 ff.

(3) Syme, R. Tacitus, Oxford, 1958, pp. 709-10; cf. Griffin, op. cit., p. 487, & note 4.
يذكر Syme أن الخدمات التي قدمتها بلاد الغال لكلاوديوس ووالده ترد فى فصل تالٍ عندما تأتي مساندة مبعوثي بيزنطة لمطلبهم لتخفيف الضرائب عن طريق الإدلاء بكافة خدماتهم الماضية إلى روما (Tac. Ann. XII, 62) ويظن Syme أن هذا الاستطراد التاريخي اشتق من خطاب كلاوديوس . كذلك الاستطراد الجغرافي (Tac. Ann. XII, 63. 1-2) يدين بشئ ما إلى خطب كلاوديوس.

(4) Syme, op.cit., pp. 709-10 ff.; Griffin, op.cit . p. 484 ff., p 485 note 11.

(5) Griffin, ibid. loc. cit.

(6) Idem . p. 484 .

(7) Tac. Ann. XI. 13-14.

(8) Tac. Ann. XI. 22. 2-6.

البطارقة[١]، وحول سور روما الوهمي المقدس Pomerium[٢]، أن محاولة كلاوديوس إضافة ثلاثة حروف جديدة إلى الأبجدية اللاتينية والتي باءت بالفشل، تري جريفين (Griffin) وكذلك سيم (Syme) أن هذه الفكرة وضحت عند تاكيتوس حين كان يتهم الإمبراطور بالتحذلق، ويمكن رصد نوع من التهكم فى معالجة المؤرخ لما قام به كلاوديوس[٣]. كلاوديوس[٣]. كذلك يربط تاكيتوس الفكرة الاستطرادية حول وظيفة الكوايستور، بمقترح دولابيلا Dolabella برغبة الفرسان المنتخبين إعطائهم مباريات ألعاب الجلادين[٤] وهو مقترح استنكره تاكيتوس ويبدو أن الفكرة ترتبط أكثر بإجراء بإجراء لكلاوديوس ، حيث وضح هذا فى مكان آخر عند سويتونيوس[٥] وديوكاسيوس[٦] وهو إجراء خاص بر فع مكانة مكانة الفرسان بإعطائهم إدارة الخزانة ، وهى ترتبط بتاريخ التغييرات التي قام بها كلاوديوس الخاصة بوظائف الفرسان المالية . ومن ثم فإن من المعقول أن تأتي الفكرة المطروحة من خطاب لكلاوديوس تأييدا منه للإجراء الآخر. ويري سيم أن هذه النقطة قد أبرزها كلاوديوس فى الكتاب الذي كتبه حول هذا الموضوع[٧]. أن موافقة الإمبراطور على إَضافة هذا الاقتراح موضحا إيجابياته هو استكمالا لسياسة كلاوديوس مع الفرسان – بينما تاكيتوس يعرض المقترح بما يوحي استنكار الإضافة على أنها متناقضة مع التقليد الرومانى[٨].

---

(1) Tac. Ann . XI. 25. 2.

(2) Tac. Ann . XII. 23. 2; 24.

(3)Tac . Ann. XI . 13 . 14;

إن تناول تاكيتوس لخطب كلاوديوس خاصة فترة توليه منصب الرقيب تتسم بالانتفاد الواضح بوجه عام ومثال على ذلك خطبة الإمبراطور (Tac. XII. 11) عام ٤٩ حين جاء مبعوثون اثينيون للمطالبة بعودة أمير بيت Arsacid الحاكم الذى كان يقيم فى روما كرهينة ، وأرادوا تنصيبه بدلاً من الطاغية Gotarzes جوتارزيس (Tac. XII. 10) ، قألقى عليهم كلاوديوس خطبة ، يتباهى فيها بالولاء الأثينى لروما وينصح الحاكم الجديد ورعيته بتبنى الـ Clementia والعدل، والتحلي بصفات غير بربرية ويتصرف كحاكم على مواطنين لا سيد على عبيد. وبينما يذكر تاكيتوس ذلك، يشير إلى أجربينا وهيمنتها على الدولة وأنها كانت تتحكم فى الرعية وتعاملهم كعبيد (Cf. Tac. XII. 7-8) . راجع أيضاً فيما يلى حاشية رقم ٣، ص ١٩٤ حينما يسخر تاكيتوس من قول كلاوديوس، أن بالاس سوف يبقى مسروراً بالألقاب الشرفية التى منحها مجلس السناتو له ، على أن يقبل أى مكافأة مالية، ويظل فى إطار "الفقر السابق" رغم ثراءه الفاحش.

(4) Tac. Ann. XI . 22. 2-6.

(5) Suet. Claud. 24.

(6) Dio. 60. 24. 1.

(7) Syme, op.cit., p. 515; On Claudius' Book: Suet. Claud. 41. 3.

(8) Griffin, op. cit. p. 485.

أن هذه الإجراءات الجديدة الخاصة بالفرسان شأنها شأن سماح الإمبراطور للسناتور الغال بدخول مجلس السناتو تنتمي لفترة رقابة كلاوديوس عامي ٤٧ ، ٤٨.

مقارنة بهذا فإن تاكيتوس لم يبد أى علامة استياء أو رفض عندما استخدم كلاوديوس الجدال فى إقناع مجلس الشيوخ فى تقوية هيئة العرافين[١] مثيرا الشك فى الخرافات الأجنبية، وهذا الرأي بالطبع يتمشي مع فكر تاكيتوس الذي كان يفخر بأنه كاهن لديانة الدولة الرسمية[٢].

نفس الشئ يحدث مع تاكيتوس فيما يتعلق بُخلق البطارقة الارستقراطيين فإن تاكيتوس يظهر رضا وطيب نفس حول المعايير التي كان الإمبراطور يستخدمها وهي إتباعه لسُنة سلف النبلاء[٣] Nobilitas Maiorum ويوفي تاكيتوس هذا هذا الحدث حقه فى المعالجة وربما استقاه من خطاب كلاوديوس نفسه حيث إن الرواية جاءت فى إطار مناسبة شغل كلاوديوس لوظيفة الرقيب.

هكذا يتعاطف تاكيتوس أحيانا وينحاز إلى كلاوديوس كما حدث فى خطابه حول دخول الغال السناتو فهذه الخطوة العملية يضعها ضمن التقاليد الرومانية – وخاصة تقليد توحيد رعايا روما والعمل على إحياء المجتمع الروماني، بينما يحذف فى روايته علاقات الصداقة بين الغال والرومان. فى حين يسرد التمرد الخطير من ساكروفير[٤] Sacrovir من أجل أن يناقض مزاعم الإمبراطور كلاوديوس، وربما ينطبق نفس الشئ عند ذكره لحادث توسيع سور روما المقدس فيذكر أن الإمبراطور قام بتوسيع هذا الحد للاحتفال بالفتوحات إلا أنه يحذف ذكر قيصر الذي يشهد له إنه قام بتوسيع هذا الحد أو السور الوهمي من قبل.

وتؤكد ميس جريفين Griffin[٥] على منهج الحذف الذي اتبعه تاكيتوس فى روايته عن كلاوديوس حيث لم يلحق الكتاب ١٢ أي تلخيص موجز لعصر كلاوديوس كما حدث فى ختام الكتاب السادس الخاص بتيبريوس. وتتساءل هل يعد تغيير شكل المادة الكلودية كما قام بها تاكيتوس نوعا من التقنية الفنية فى كتابته ، ويشبه ذلك تقسيمه الكتاب، كأن يميز حدث تغيير الزوجة، ولا يبرز أو لا يذكر نعي للفقيد كلاوديوس؟ فرغم أن الكتاب ١٢ ينتهي بموت كلاوديوس ويتشابه فى هذا من بعض الوجوه كما حدث فى الكتاب السادس مع تيبريوس – إلا أن كلاوديوس لم يُسمح له فيه بالحديث عن نفسه وأنما عرض حادث موته على أنه خطوه فى سبيل اعتلاء نيرون الحكم من بعده . وهكذا لم يكن لكلاوديوس هنا أي نعي ولو قصير، والحدث الحاسم الذي يملأ الفصل الأخير هو الذي وقع فى النصف الثاني من عهد كلاوديوس ويتمثل فى تغيير زوجته (زواجه من اجريبينا بعد إعدام ميساليا). ويقع هذا الحدث يقع فيما بين الكتابين ١١ ، ١٢، وحتي وفاة كلاوديوس لم يكن هناك حدث مهم سوي فوز اجريبينا بالعرش لإبنها.

---

(1) Tac. Ann. XI. 15.

(2) Griffin, op. cit, p. 485 n. 11

(3) Tac . Ann. XI . 25.2.

راجع فيما يلى ص ١٨٠ وحاشية ٦، قارن موافقة تاكيتوس لتلك المعايير باعتبارها من سنة سلف النبلاء (Tac. Ann. IV. 6.2)

(4) Tac. Ann. XI. 25 (n.s)

(5) Griffin, op. cit., p. 283.

وتعلق مريم جريفين على هذا الحذف أنه ربما افترض تاكيتوس، وهو صاحب الأسلوب الدرامي والذوق الرفيع، أن كثير من قرائه الذين تعودوا على خطابه البلاغي لن يفكروا فى الرجوع المباشر إلى السجلات السيناتورية خاصة وأن أقوال كلاوديوس كما أظهرها هؤلاء المؤرخون القدامي كانت مشهورة بغرابتها وقبحها أيضا!.(١)

والخلاصة: أن تاكيتوس يتبع فى روايته عن كلاوديوس منهج الحذف لأشياء وإظهار أشياء آخرى. كذلك فإن عرضه اتسم أحيانا بالانتقاد الصريح الذي ينتقل أحيانا من خفة الظل والسخرية الضمنية إلى التهكم. كذلك من الصعب استبعاد فكرة استطرادات القدامي حول موضوعات مشتقة من خطب كلاوديوس وأقواله وكتاباته. إلا أن تاكيتوس لا يقر أنه أخذ معلوماته عن خطب كلاوديوس باستثناء الخطاب المطول حول دخول الغال المجلس.

وإزاء هذا العرض المائل غير المستقيم للمادة الكلودية، فإن سيم Syme يقدم تفسيرا مثيرا للغاية وهو أن تجميع تاكيتوس الملخص أو الموجز من خطب كلاوديوس وأقواله، جعل أمور كثيرة تسقط منه ويغفل عنها، وربما يبدو هذا غير مقبول لمؤرخ كبير مثل تاكيتوس وسوف يجعل لهذا الحاكم دورا بارزا فى التاريخ، انكره عليه تاكيتوس وحرمه إياه عن عمد وقصد.(٢)

وفى رأينا أن حذف تاكيتوس لكثير من التفاصيل أو إهمالها واختياره جانبا واحد أو أكثر ليسلط عليه الضوء، قد يكون هدفه من وراء ذلك هو التعتيم والبعد عن الحقيقة، وهذا يجعله يبتعد عن الارتفاع المنشود من الموضوعية والتجرد الذي طالما عبر عنه.(٣) كذلك فإن القول بأن تاكيتوس قد أستخدم معلوماته من خطب الإمبراطور والتقارير الرسمية لأعمال السناتو يعد أمرا واردا جدا، خاصة وأن تاكيتوس كان شخصية سياسية شغل مناصب سنياتورية فى عهد الأسرة الفلافية وبداية الأسرة الانطونية؛ إلا أن عدم إقراره بهذا الأمر أنما يدل على أمرين :

أولهما: عدم الأمانة فى الكتابة التاريخية عندما أخفى مصدر معلوماته ومادته التاريخية التي أفاد منها.

ثانيهما: أن تاكيتوس فيما يبدو كان ينتقي من تلك المادة ما يروق له ويترك ما لا يروق له ويصل إلى توليفه جديدة تختلط مع بعضها البعض تمشياً مع وجهة نظره، خاصة وأن الخطاب الوحيد المطول للإمبراطور الذي ذكره تاكيتوس

---

(1) Suet. Claud. 39. 2. 5; 40. 3.; Tac. Ann. XIII. 3. 2.
قارن هذا القول بخطاب الإمبراطور إلى الإسكندرية وأسلوب الإمبراطور فى الرد فيما يلى ص٢١٢-٢١٤، وحاشية رقم ٤، ص ٢١٣ وكذلك خطابه بشأن بعض الإصلاحات فيما يلى ص ١٩٦ وما يليها.

(2) Syme, op. cit., p. 710. cf. p. 196 n. 2; cf. Tac. Ann. XII. 58.
يبدو أيضاً تحيز تاكتيوس الواضح للإمبراطور نيرون الذي خلف كلاوديوس حين عرض خطاب نيرون على السناتو ووضح بلاغة الأمير.

(٣) قارن أحمد عتمان، مرجع سبق ذكره، ص ص ٢١٧-٢١٨، يذكر أن تاكيتوس يزعم فى متن تاريخه (الكتاب الثاني ١-٢)، والحوليات الكتاب الأول (١، ٣) أنه يكتب دون انحياز وهذا زعم تقليدى ظهر لدى الكثير من المؤرخين الإغريق والرومان. كذلك فإن تاكيتوس يصب نقده الغاضب على سابقيه مع أنه أفاد منهم كثيرا ويقول أنهم زيفوا التاريخ لجهلهم أو نفاقهم وحقدهم على من مات من الحكام.

هو خطاب دخول زعماء الغال المجلس. وبناء عليه فإنه لم يكن يتحري الدقة فى تقصي الحقائق، ولا فى ذكرها أيضا، فلماذا لم يتعرض مثلا لرسالة الإمبراطور إلى شعب الإسكندرية، والتى سوف نتعرض لها فيما يلى، تلك الرسالة التى قضت على مزاعم يوسيفوس فيما يخص حق اليهود فى المواطنة السكندرية. أن منهج تاكيتوس هذا جعله عرضه لسوء التقدير فى الحكم على الأشياء. هذه النتيجة وضحت أيضا وبشكل بارز جدا فى تناول تاكيتوس لرقابة كلاوديوس وقضية ميسالينا زوجة الإمبراطور الخائنة، وتصوير تاكيتوس لعلاقة الإمبراطور بعبيده المُحَرَّرين.

ب – رواية تاكيتوس حول رقابة كلاوديوس وقضية ميسالينا

أن رواية تاكيتوس حول حدث زواج ميسالينا (زوجة الإمبراطور) من سيليوس Sillius، تشكل إطارا دقيقاً لوظيفة الإمبراطور بوصفه رقيبا على الأخلاق الرومانية. لقد تولي كلاوديوس منصب الرقيب عامي ٤٧ ، ٤٨ مع فيتلليوس[١]. وفى الوقت الذي يتهكم فيه سويتونيوس[٢] كاتب سيرة كلاوديوس على الإمبراطور القائم بالرقابة من أجل إصدار ٢٢ قرارا فى يوم واحد، واستبعاد السنياتوريين من جدول قائمة أعضاء المجلس، يري تاكيتوس أن الإمبراطور نفذ هذا العمل بدقة.[٣] حيث يتبين من رواية تاكيتوس[٤] أن هناك بيوت وأسر نبيلة كانت قد انقرضت، وهي التي سبق أن أختارها قيصر وأغسطس وكان لا بد من ملئ أماكنها، وفى إطار تخلص الإمبراطور من الرجال ذو السمعة السيئة قام كلاوديوس بتطهير المجلس منهم بطريقة فيها رفق (متحضرة). وقد اتخذ أسلوباً يتناسب مع جدية التقاليد الرومانية ووقارها، ونُصح بالبحث وراء الامتيازات الخاصة بحالة كل واحد.[٥] ورغم استخدام تاكيتوس أفعال المبني للمجهول، مما يوحي بأن كلاوديوس ليس هو المبادر بالفعل، إلا أنه يذكر ما يدل على أن كلاوديوس كان حريصا على وقار المجلس ورجاله:

> فقد اتخذ الأسلوب المتبع طبقاً للوقار القديم بمنح السماح بأن كل شخص يمكنه أن يبحث معه حق طرد المجلس له. وأنه سوف يعلن عن أسماء الذين استقالوا والذين طردوا من مجلس السناتو (فى قائمة واحدة)، وبواسطة مزج قرار الرقباء بالذين استقالوا طواعية يمكن التخفيف من العار والفضيحة[٦].

---

(1) Suet. Claud. 16.

(2) Suet . Claud. loc.cit.

(3) Tac. Ann. XI. 25; cf . XII. 52.

(4) Tac. Ann XI. 25.

(5) Tac. Ann. XI. 25.

(6) Tac. Ann. XI. 25.

راجع أيضاً خطابه أمام السناتو والخاص ببعض تشريعاته (BGU. 611) وذلك فيما يلى ص ١٩٦، ١٩٧. وفيه دليل آخر على رغبة كلاوديوس الجادة فى تعاون أعضاء المجلس معه.

"mitem et recens repertam quam ex serveritate prisca rationem adhibuit, monendo, secum quisque de se consultaret peteretque ius exuendi ordinis: facilem eius rei veniam. Et motos senatu excusatosque simul propsiturum, ut. indicium censorum ac pudor sponte cedentium permixta ignominiam mollirent"

ولهذا السبب تحرك القنصل فيستانوس Vipstanus واقترح أن كلاوديوس ينبغي أن يُطلق عليه لقب أبو السناتو Ob ea Vipstanus cousul rettulit patrem senatus (لقب أبو الوطن كان قد مُنح له فعلا). وقد امتنع الإمبراطور عن امتداح القنصل له باعتباره مسلكا مفرطا.

هكذا قدم لنا تاكيتوس دليلا على شخصية الإمبراطور النبيلة الحريصة على الأخلاق الرومانية، وفى نفس الوقت الحريصة على وقار السناتو، وعدم رغبته فى إحراج الذين طردوا، ورفضه ألقاب المديح مما يعكس عدم رغبه الإمبراطور فى تضخيم شخصه، وتميزه بمناصب جديدة من خلال ألقاب غير عادية.

وبينما يذكر تاكيتوس انشغال الإمبراطور بأمور الدولة، ويظهر تعاطفا معه إلا أنه يُظهر من ناحية أخري عدم إدراك الإمبراطور بما كان يحدث داخل بيته حيث يذكر أنه: بعد فترة طويلة أُجبر على ملاحظة فجور زوجته ومعاقبتها لدرجة أنه بعدها تشوق إلى زواج مُحرم(١). *"Haud multo post flagitia uxoris noscere ac punire adactus, ut deinde ardesceret in nuptias incestas".*

مغزي رواية تاكيتوس فيما يخص رقابة كلاوديوس وقضية ميسالينا ونقد منهجه

هكذا فإن تاكيتوس الذى يُبدي حكما على كلاوديوس فيما يخص رقابته اعدل مما يبديه كاتب سيرته المتهكم سويتونيوس، إلا أنه يُظهر المفارقة بين انشغال الإمبراطور بأمور الدولة وبين تغافله عن شئون بيته الداخلية، فزوجة الإمبراطور متهمه بالزنا مع سيليوس وقد وصل فجورها إلى احتفالها بمراسم زواج أثناء غياب الإمبراطور فى اوستيا(٢).

هذا الأسلوب فى إبراز الجانبين الإيجابي والسلبي فى شخصية كلاوديوس ظهر عند تاكيتوس بوضوح، وتكرر أكثر من مرة خلال سرده لقضية ميسالينا وسوف أذكر بعض الأمثلة لتوضيح مغزي رواية تاكيتوس ودوافعه فى إظهار شخصية كلاوديوس بهذا الشكل الذى يظهر ازدواجية متناقضة.

---

(1) Tac. Ann. XI, 25.

(2) Tac. Ann. XI. 27.

يذكر تاكيتوس أنه ليس جاهلاً (بما فعلته ميسالينا وعشيقها) فهى رواية أُثيرت وشهدها بعض من الناس الأمنين ومعروفة لدى الجميع فى مدينة لا تلتزم الصمت. ويؤكد أنه لا يوجد شيئاً مدوناً يدعو للدهشة (فالقصة) سُمعت وسُجلت ووصلت إلينا من الأباء.

(هكذا تاكيتوس يذكر صراحة مصدر معلوماته أنها أعمال السناتو).

"Haud sum ignarus fabulosum visum iritantum ullis mortalium securitatis fuisse in civitate omnium gnara et nihil reticente". Sed nihil compositum miraculi causa, verum audita scriptaque senioribus tradam.

فتاكتيوس يصور الموقف فى البلاط بين عبيد الإمبراطور المُحَرَّرين، بأنه كان هناك ذعر فيما بينهم عندما يفكرون فى عدم اكتراث كلاوديوس بالأمر بسبب **أنه كان خاضعاً لزوجته، وبسبب جرائم القتل الكثيرة التي ارتكبت بإيعاز من ميسالينا**[1]. "Et uxori devinctum multasque mortes iussu Messalinae paratas"

ثم يصور تاكيتوس الجدال الذي حدث بين العبدين المُحَرَّرين ناركسوس وبالاس حول كيفية إبلاغ الإمبراطور، فقد كانا يخافان رد فعل كلاهما، فالإمبراطور بطبيته قد لا يعاقبها، أما هي فقد تنتقم منهما. واستقر الأمر أن يكون التبليغ بإيعاز من إمرأتين من محظيات القصر، كانتا لديهن الحظوة لدي كلاوديوس. وعندما استدعى الإمبراطور العبد المُحرَّر ناركسوس لسؤاله، فإن تاكيتوس يبرز أن العبد المُحرَّر كان يوجه الإمبراطور حيث يذكر: وقال هل تعلم بطلاقك؟ الشعب والسناتو والجند رأي زواج سيليوس وإن لم تتخذ موقفاً سريعاً فإن الزوج سوف يستحوذ على المدينة (روما)[2].

"An discidium" inquit "tuum nosti? Nam matrimonium silii vidit populus et senatus et miles; ac ni propere agis, tenet urbem marius".

بينما يذكر تاكيتوس فى موضع آخر،[3] أن الإمبراطور استدعي أصدقائه من ذوي النفوذ، وسأل تورانيوس Tauranius المشرف على الغلال، وجيتاLusius Geta قائد الحرس الإمبراطوري، ونصحه جميع أصدقائه بأنه لابد أن يذهب بنفسه إلى كتائب الحرس ويطمئن على الأمن فى روما قبل الأخذ بالثأر.

إلا إن تاكيتوس يضيف من أسلوبه عبارات لا تدل على المشهد نفسه حيث يذكر[4]:أن من المؤكد أن كلاوديوس انتابه الرعب بدرجة كافية حتى أنه تساءل عما إذا كان هو نفسه يتولى زمام الإمبراطورية، وهل سيليوس مجرد واحدا من الرعايا.

"Satis constat eo pavore offusum claudium, ut identidem interrogaret, an ipse imperii potens, as silius privatus esset".

فى حين أن تساؤل الإمبراطور لا يدل أبدا على رعب وخوف، وإنما هو استنكار واستغراب للموقف وسخريته من جُرأتهم ووقاحتهم، وهو ما صرح به فيتلليوس متعجبا، وذكره لنا تاكيتوس: ياله من عمل مشين يالها من جريمة!.[5]
"Non aliud prolocutum vitelluim quam facinus! O scelus!".

وعلى الجانب الأخر يصور تاكيتوس ميسالينا وهي غارقة فى الملذات، ويصور المشهد كأنه مشهد لحفل باكخوس[6].

---

(1) Tac. Ann. XI, 28.

(2) Tac. Ann. XI. 30.

(3) Tac. Ann. XI. 31.

(4) Tac. Ann. XI. 31.

(5) Tac. Ann. XI. 34.

(6) Tac. Ann. XI. 31.

وهكذا فإن تاكيتوس يقدم مشهدين متقابلين من أجل عقد مقارنة واضحة فالإمبراطور من ناحية شخصية طيبة وقد لا يعاقبها بسبب حبه لها، وميساليا من ناحية أخري قد تنتقم من المبلغين عنها بسبب اعتيادها على ارتكاب الجرائم، ثم مرة أخري يصور الإمبراطور فى غاية الرعب بينما ميساليا بجرأتها تمعن فى الفساد والخلاعة.

ورغم أن الصورة التي يقدمها تاكيتوس، تظهر سلبية وضعف الإمبراطور، إلا أنها تؤكد على معني مهم جدا وهو الجانب الإيجابى فى شخصيته، حيث أن الطغيان وارتكاب الجرائم لا يُنسب إلى كلاوديوس وإنما يُنسب إلى ميساليا . ولكن تاكيتوس فى نفس الوقت، يذكر خوف المرتكبين للجريمة من ثأر الإمبراطور، إلا إنه يعود ويُنسب الأمر كله إلى:

سيطرة العبد المحُرَّر ناركسوس بينما الإمبراطور كان يلتزم بصمت عجيب خلال تلك الأحداث(١).
"Mirum inter haec silentium claudi,: omnia Liberto oboediebant,".

يتضح من خلال هذا العرض غير المحايد، حرص تاكيتوس على إبراز ضعف الإمبراطور وسلبيته خاصة اعتماد كلاوديوس على عبيده المُحَرَّرين. إلا أن هناك مبالغة واضحة عند تاكيتوس وصلت إلى حد تناقضه مع نفسه، فهو من ناحية يظهر اعتماد كلاوديوس على عبيده المُحَرَّرين، لكنه من ناحية أخرى يذكر أن الإمبراطور استدعي أيضا قائد الحرس الإمبراطوري والمشرف على الغلال وتم سؤالهم، فالأمر إذاً ليس كما يصوره تاكيتوس باعتماد الإمبراطور على العبيد المُحَرَّرين وحدهم بل أن حكمة الإمبراطور وهدوءه جعلته يستمع إلى أصدقائه المقربين أصحاب النفوذ. وهذا لايدل فى رأينا على ضعف أو بلاهة، بل أنه عادةً الشخص الذي يُباغت بفضيحة كبيرة مثل هذه، فإنه يعجز عن التفكير السليم وهذا يجعله يستمع لأقرب الناس إليه ، وكلاوديوس زوج مطعون فى شرفه، تلك التهمة تجعله نفسيا غير قادر على التصرف ويصير ذهنه مهيأ إلى سماع الآخرين، وهذا يدل على طيبة الرجل ورقة مشاعره وحساسية الموقف مما يجعله متناقض بين **تذكر محاسن حياته الزوجية وأبناءه الأطفال، وبين الموقف المخجل للزوجة وهذا ما يذكره تاكيتوس نفسه**(٢)**"*aliguando ad memoriam coniugii et infantiam liberorum revolveretur,*"**، بل أن شدة الغضب أحياناً تجعل الشخص صامتاً، وهذا ما يذكره تاكيتوس أيضاً حين يصور **غضب الإمبراطور وانفجاره مهدداً، وهجمته على الثكنات وأنه فى اجتماع الإمبراطور بالجند، كان ناركيسوس يحذرهم بينما الإمبراطور شده الغضب والخزى من الموقف تكبح تفوهه بالكلام**(٣).

> "*In censum que et ad minas erumpentem castris infert; parata contione militum; apudquos praemonente Narcissso pauca verba fecit, nam iustum dolorem pudor impediebat*".

---

(1) Tac. Ann. XI. 35.

(2) Tac. Ann. XI. 34.

(3) Tac. Ann. XI. 35.

ولكن الشخص المصدوم الغضبان، عادة حين يهدأ، يتصرف بشكل أكثر عقلانية وهذا ما حدث فى تطور سير القضية، خاصة وأن كلاوديوس وجد التأييد والدعم من الجيش وجاءت صيحة الكتائب المؤيدة تطالب باستدعاء أسماء المتهمين ومعاقبة الآثمين"[١]

continus dehinc cohortium clamor nomina reorum et poenas flagitantium.

هكذا حين وجد الإمبراطور حب جيشه له ودعمه إياه، صدرت الأحكام باعدام ميساليا وسيليوس وشركاءهم[٢] . وكان الإمبراطور فى هذا مُحقاً فى حكمه بسبب الخيانة، ولم يكن إرهاباً أو طغياناً منه، ولم يكن مثل ما ذكر تاكيتوس:

أن الإمبراطور لم يكن لديه حكم (فى الأمر) أو كراهية باستثناء ما صدر من أحكام موقعة[٣].
"Cui non iudicium, non odium erat nisi indicta et iussa".

وهكذا طلب الإمبراطور[٤] انجاز وثيقة صك الاعدام. ومما يلفت النظر أن تاكيتوس حين يعلق على نهاية ميساليا[٥] يذكر

ولكن الشرف لم يتواجد فى هذا القلب الذى فسد بشهواته، ولازالت تسكب دموعها وتبث نحيبها وشكواها بلا طائل، إلى أن فُتحت الأبواب بقوة اندفاع الوافدين، وهناك وقف عندها النقيب (التريبون) صامتاً، أمّا العبد المُحرر فقد اجتاحها بإهانات العبيد الوفيرة.

---

(1) Tac. Ann. XI. 35.

(2) Tac. Ann. XI. 36.

كان المشاركين فى هذه القضية وحكم عليهم بالإعدام هم: M.Valens ميتوس فالينز ، Pompeius Urbicus بومبيوس يوربيكوس، Saufellus Trogus سوفيلوس تروجوس، Decius Calpurnianus ديكيوس كالبورنيانوس، Sulpicius Rufus ساليبسوس روفوس، والسيناتور Juncus Virgilianus جونكوس فيرجيليانوس وكذلك Mnester مينستر ، رغم توسل هذا الأخير بأنه وقع فى الإثم وهو مكره فقد ارغمته ميساليا ويذكر تاكيتوس أنه رغم تأثر الإمبراطور باستغاثته لكن عبيده المحررين أكّدوا عليه ألا يدعه " فلا يهم إذا كان وقع فى الإثم اختيارا أم إكراها" كذلك اعدم الفارس الشاب ذو الوسامة Traulus Montanus تروليوس مونتانوس، الذى استدعته ميساليا فى ليلة إلى غرفتها وطردته فى نفس الليلة، وكما يذكر تاكيتوس فقد كانت متقلبة المزاج العاطفى فى الحب وكذلك فى الكراهية. أمّا Suilius Caesoninus سويليوس كاسونينوس و Plautius Lateranus بلاوتيوس لاتيرانوس فقد تم العفو عنهما، وكان الأخير تم إنقاذه بفضل الخدمات الجليلة التى سبق أن قدمها لعم الإمبراطور.

(3) Tac. Ann. XII. 3.

(4) Tac. Ann. XI. 36.

(5) Tac. Ann. XI. 37.

إسراف ميساليا فى الملذات جعل الشعب غير متعاطف معها فذكر تاكيتوس أن الشعب لم يرأف لحالها وهى تركب عربة تُستخدم فى إزالة حسالة الحديقة، كذلك أظهر تاكيتوس تعاطف الحرس مع كلاوديوس

"Sed animo per libidines corrupto nihil honestum inerat: Lacrimaeque et quaestus inriti ducebantur, cum impetu venientium pulsae fores adstititque tribuns per silentium, at libertus increpans multis et servilibus probris".

هكذا فإن تاكيتوس فى الوقت الذى يذكر أن ميساليا لا شرف لها، يستنكر إهانة العبد المُحرر لها مما يدل على مدى كره تاكيتوس لهذه الطبقة المُحيطة بالإمبراطور!

ونفس الشئ يستنكر تاكيتوس استقبال كلاوديوس لخبر موتها[١] فيذكر أنه تلقاه كلاوديوس هادئا وهو على المأدبة وطالبا بالقدح وأنهى وجبته كالعادة، وخلال الأيام اللاحقة **لم يُبد أى علامة حزن أو غضب أو أى عاطفة إنسانية.**

"Irae tristitiae, ullius denique humani adfectus signa dedit".

وإن المرء ليتعجب من قول تاكيتوس لماذا يلوم الإمبراطور بعد كل هذا؟! أليس فى مثل هذه الحالات يكون النسيان وانشغال الشخص خير وسيلة، وهو القائل فى نفس الفقرة أن مجلس السناتو ساعد الإمبراطور على نسيانها بقراره بإزالة اسمها وتماثيلها من كل الميادين والأماكن العامة والخاصة[٢].

إن الإمبراطور طيب القلب لم يبالغ فى انتقامه بل لقد وصفها "بالمسكينة[٣]. وأشفق على بعض المشاركين فى هذه التهمة بالعفو عندما تأكد من ضعف مشاركتهم أو بسبب خدماتهم الجليلة لعمه.[٤] وهكذا فأن الإمبراطور كلاوديوس فى تلك القضية الحرجة الخاصة بخيانة الزوجة ميساليا وجد مؤازرة وتعاطف – كما رأينا – ليس فقط من عبيده المُحَرَّرين وإنما كذلك من الحرس الامبراطورى بل ومن السناتو أيضا.

ونخلص من السرد السابق لرواية تاكيتوس عن رقابة كلاوديوس وقضية ميساليا بعدة نتائج:

١- لقد أراد تاكيتوس إظهار الجانبين الإيجابى والسلبى فى شخصية كلاوديوس، ففى الوقت الذى يصف عمله بالدقة كرقيب وحرصه على الأخلاق الرومانية فى تطهير السناتو، إلا أنه إزاء قضية ميساليا يظهر عدم وعى الإمبراطور وإغفاله عن شئون بيته. وبإظهار هذين الجانبين فإن تاكيتوس يؤكد على تناقض شخصية كلاوديوس، وأنه يوجد نوعاً من الخلل فى الشخصية وذلك من أجل تشويهها.

---

(1) Tac. Ann. XI. 38.

(2) Tac. Ann. XI, loc. cit.

(3) Tac. Ann. XI, 37.

(٤) راجع الحاشية السابقة رقم ٣، ص١٨٤.

٢-لقد وضح من خلال عرض بعض فقرات من رواية تاكيتوس، إنه يشوبها عدم استقامة الرواية وتناقض العرض، وصار على نهج تاكيتوس من جاء بعده من مؤرخين مثل ديوكاسيوس.(١) وسويتونيوس(٢) على نحو خاص، الذى ركز على الجانب السلبى فى الشخصية.(٣)

٣- لقد لوحظ فى رواية تاكيتوس أنه عادة يتحاشى ذكر اسم كلاوديوس ذكراً مباشراً ويتجنبه باستخدام أفعال المبنى للمجهول أو عبارات التجرد من الفاعل الشخصى (نُصح - إنقاد - دُفع - أُجبر). ومن ثمّ فقد أراد أن يظهر كلاوديوس بالرجل المغلوب على أمره بين نسائه وعبيده المُحرَّرين من أجل إبراز ضآلة شخصية كلاوديوس، وكأن حكومة الإمبراطور يحكمها آخرون عنه.

٤- لقد وضح أيضاً من رواية تاكيتوس أنه ينسب إلى ميساليا ارتكاب الجرائم، فتاكيتوس لا ينسب لكلاوديوس مسئولية عن الفظائع الوحشية Saevitia التى وقعت فى عهده وبناء عليه فوصفه بالحاكم الطاغية - كما أظهره سنيكا فى روايته، وحذا حذوه المؤرخون القدامى، لا يبدو مقنعا. فجوانب الطغيان تظهر بوضوح فى شخصيات زوجات كلاوديوس وبخاصة ميساليا واجريبينا -كما يذكر تاكيتوس-،(٤) ورغم أهمية هذا الأمر إلا أن مسألة الاغتيالات السياسية كما سبق ونوقشت لا ينبغى أن تعزو إلى تأثير زوجاته(٥)، حيث أراد المؤرخون إظهار كلاوديوس وكأنه دمية فى يد نسائه وعبيده المُحَرَّرين، وقد سبق وأوضح البحث أن هذه الاغتيالات كانت فى

---

(1) Dio.60.3-1

يذكر ديو أن كلاوديوس كان يتصرف بشكل طيب حين يسلم من نفوذ زبانيته، ومن الأمثلة التى يذكرها وتدل على الجانب الايجابى عند كلاوديوس موافقته على وجود تلك العلاقات التى ربطت كلاوديوس بمجلس الشيوخ بشأن السياسة الخارجية فى العام الأول من حكمه (Dio. 60. 8. 6)

(2) Suet. Claud. 12; 18; 20; 22.

هناك أمثلة عديدة يذكرها سويتونيوس تدل على الجانب الايجابى عند كلاوديوس مثل (قرارات المدينة ورعايته لروما) وكذلك (إمداده بالذرة) و (عنايته بالمرافق العامة) و (إصلاحاته وترميمه للإنشاءات الدينية).

(٣) عن الجوانب السلبية الذى يذكرها سويتونيوس راجع فيما سبق حاشية رقم (٢) ص ١٧٢.

(4) Cf. Tac. Ann. XII. 1, 2.

إن الطموح السياسى لدى المرأتين كان معلوما إلى جانب الانحراف الشهوانى لدى الأولى الذى وصل بها الأمر إلى زواجها من رجل ثانى هو سيليوس؟! أما الثانية فقد خططت للتخلص من خطيب اوقتافيا ابنة كلاوديوس وقتله حتى تؤمّن العرش لإبنها نيرون بزواجه من أوقتافيا وتبنى كلاوديوس له.

(5)Alindon. (1956). p. 117; Scramuzza, op. cit. pp. 93-8.

من الثابت أن هناك جريمتان تنسبان إلى زوجاته: حالة Valerius Asiaticus فاليريوس اسياتيكوس وحالة T. Statilius Taurus ستاتيلوس توروس - كان المحرضون فيها ميساليا وأجريبينا على الترتيب. وكانت كلتاهما تطمع فى البساتين الخاصة بالمتهمين. عن المحاكمات السرية التى كانت تجرى داخل ردهات القصر:

See: Baldwin, B. "Excecutions under Claudius: Seneca's Ludus de morte Claudii "Phoenix, 18 (1964). pp. 39-48; cf. Jones, A.H.M. The Criminal Courts of the Roman Republic and Principate (Oxford, Blackwell, 1972).

الغالب رد فعل إزاء المعارضة السيناتورية والمؤامرات العديدة التى دُبرت ضده (والتى كان من بينها جريمة زوجته ميساليا وسيليوس وشركاءهم). وهذا الشئ هو الذى أخفاه تاكيتوس فقد أراد أن يظهر الإمبراطور، وكأنه لا يملك أى عاطفة إنسانية فهو لا يحمل أى مظاهر موافقة أو كراهية، ولكن مثل هذه المشاعر قد أُملئت عليه.

٥- إن اهتمام تاكيتوس فى سرده التاريخى بالتصوير الدرامى أوقعه فى تصورات غير دقيقة[١]، فقد اضطلع بمهمة إبراز الصراع الدرامى من خلال التأكيد على سلوكيات كافة الأشخاص الذين كانوا يتصارعون من أجل السلطة. هذا التركيز من جانب تاكيتوس كان فكرة محورية خاصة فيما يتعلق بالشئون الداخلية للقصر، مثل موقف ناركسوس إزاء ميساليا، فى حين أن هذا الصراع يراه Mehl ناتج عن شعور صادق إزاء الانتماء لبيت كلاوديوس، وليس كما يرى تاكيتوس أن العداء القائم بين العبيد المُحَرَّرين ونساء القصر هو الذى أحدث الصراع.[٢]

أخيرا: وبعد عرضنا لروايتين أوردهما تاكيتوس وهى خطاب الإمبراطور فى السناتو بشأن دخول الغال، وكذلك قضية ميساليا ورقابة كلاوديوس، فإنه يمكن استنتاج أن تاكيتوس لم يخرج عن طريقته المألوفة فى روايته عن أعمال كلاوديوس ، فنجده تارة يتعاطف وينحاز عمدا إلى كلاوديوس وتارة أخرى يحذف أمور هامة، وتارة ثالثة يظهر لامبالاة الإمبراطور وعدم ادراكه وذلك من أجل إيجاد دليل يظهر تناقض شخصية كلاوديوس. هذا المنهج الذى اتبعه تاكيتوس وسار علي نهجه من جاء بعده أظهر كلاوديوس، وكأن لديه ازدواجية فى الشخصية. وفى رأينا أن تاكيتوس رغم ما يتمتع به من عمق فى سرد حقائق السلطة وأسلوبا مشوقا، إلا انه يبدو كان من أنصار الحزب السناتوري المتشدد، الذي لايرضي علي الحكم الامبراطوري، ولكنه بحكم دقة مناصبه، كان لا يظهر هذا بشكل صريح٠ان تركيز تاكيتوس على تناول شئون بيت الإمبراطور وعلاقاته بالسناتو، وزوجاته وعبيده المُحَرَّرين، أى الموقف الداخلى جعله يطغى على الجوانب الأخرى. إن التركيز على هذا الجانب أدى إلى حرمانه من النظرة المتوازنة لأعمال الإمبراطور، مما جعله يحكم بشكل خاطئ ويرى الأمور على غير حقيقتها، حيث كانت شخصية الإمبراطور ومجلس السناتو هى بؤرة اهتمامه فى كتابة درامية لم يكن طابعها -للاسف- السرد التاريخى الحولى!

ثالثاً: تقييم ختامى – حقيقة شخصية الإمبراطور كلاوديوس وتفسير سياسته "المتناقضة

نخلص مما سبق ذكره من خلال روايات المؤرخين القدامى عن كلاوديوس أن هناك تحيز سيناتورى واضح وسوء عرض متعمد من قبل تلك المصادر، بل وجد شبه إجماع على تشويه صورة الإمبراطور كلاوديوس، والتأكيد على الجوانب السلبية فى شخصه، وإظهار شخصيته متناقضة، كأنه لغز مُحيِّر. لقد حالت تلك المصادر دون الإطلاع على المعلومات الضرورية للتوصل إلى الشخصية الحقيقية لكلاوديوس، والأسوأ من ذلك أنها لوت عنق الحقيقة، فالصورة التى تعطيها لكلاوديوس فى النهاية صورة ناقصة – بها كثير من التناقض والمبالغة وكذلك الحذف – وربما صورة مزيفة

(1) Review, Shatter, D.C.A Tacitus über Kaiser Claudius: Die Ereignisse am Hof by Andreas Mehl, Classical Philology.vol.74.No.3 (jul.1979), pp. 259-61.

(2) Mehl, op. cit. loc. cit.

وغير صادقة. وظهر التناقض واضحاً فى رواياتهم، فتلك المصادر التى تتهمه بالخوف[١]، وقلة تركيزه الذهنى، وعدم اللباقة الكلامية[٢]، هى التى تذكر أنه لديه دقة ونشاط وحذر فى عمله! وتلك التى تظهره وكأنه دُمية فى يد نسائه وعبيده،[٣] هى نفسها التى تذكر أنه كان مستقلاً فى قراراته. فروايات المؤرخين المتناقضة تكشف عن مزيج مثير من الصفات،[٤] لكنها لا تكشف لنا كيف هذا الرجل الذى كان بلا خبرة سياسية، ويتلعثم فى الكلام، تحول فجأة إلى صورة ذلك الإدارى الفعال ذو التركيز القوى والقدرة الذهنية الواضحة.[٥] لقد أبدى كلاوديوس مقدرة فى الحكم، ونشاط يثير الإعجاب، وأظهر تسامحاً مع ما تعرض له من ظلم وخيانة، والتزم الاعتدال فى مظاهر الترف، التى تعيشها الأسرة الحاكمة. ولم يسمح لمجلس الشيوخ أن يصبغ عليه لقب "أبو السناتو" كما أنه لم يتلقب بلقب "بريتانيكوس" بعد فتحه لبريطانيا ومَنَح ألقاب شرفية لأقاربه المتوفين بدافع من التبجيل لهم، ورفض أن يحصل على علامات تمييز لنفسه، فقد رفض التأليه[٦] وأبقى أسرته فى الخلفية،[٧] وأمر بإعدام زوجته الخائنة ميساليا، حتى أجريبينا المرأة ذات الطموح القوى

---

(1) Suet. Claud. 10.4. Dio, 60.3.2.

شاعت تهمة خوف كلاوديوس عند سويتونيوس بسبب غيابه عن مجلس السناتو فى أول حكمه لمدة شهر، فى حين أن ديو اعتبر هذا توخى الحذر وخطوة وقائية أمام التآمر ضده.

(2) Suet. Claud. 38.3; 39.2; 40.3; cf. Tac. Ann. XIII. 3.2.

كان سبب اتهام الإمبراطور بالحمق، ظهور كتاب له اسمه ترقى الحمق μωρῶν ἐπανὸστασις. راجع: ناهد الحمصانى، "حقيقة مرض كلاوديوس"، خاصة رأى أمه فيه ص٥٧ ، وكذلك حاشية رقم (٢)، ص٧٤.

(٣) تعتبر قضية أبيوس سيلانوس واتهامه بالتآمر التى يسردها سويتونيوس هى الأكثر أهمية فى هذا الاتهام لكلاوديوس باعتبارها شائعة وهمية من ناركسوس وميساليا راجع فيما سبق، ص ١٦٣، ١٦٤.

(٤) عن تواضع كلاوديوس (Cf. Suet. Claud., 12; 35.6; Dio, 60, 2.4; 3.2) – وعن طيبته وكرمه وإنجازاته (Suet. Claud. 17; 18; 20; 21) – عن ثقته وجرأته (Tac. Ann. XI, 25.7; BGU, 611.) – عن شعبيته (Suet. Claud., 6.1; 12.3; Dio, 61, 10.2) – عن احترامه للموظفين والسيناتور (Dio, 60, 6.1; 7.4; 11, 6-8; 12; 16.3; Suet. Claud., 12; 36). – عن قسوته ومزاجه الدموى (Suet. Claud. 34; 37) – عن صفحه وحلمه (Dio, 60,3.5; 5.1; 27.5). – عن طيبة قلبه فى المحكمة واتهامه أنه عجوز وأحمق (Suet. Claud., 15.3, 4).

(٥) راجع طفولة كلاوديوس وتلعثمه فى الكلام فى بحثنا الآخر عن "حقيقة مرض كلاوديوس"، ص ص ٥٤-٦٠، وتفسير شفاءه من تلك الأعراض، ص ص ٦١-٦٤. cf. Taylor, Claudius: The Administrator? London, 1998.

(٦) وضح هذا من خلال رفضه مظاهر التبجيل التى قدمها له الإسكندريون فى خطابه إليهم، راجع فيما يلى ص ٢١٢ وحاشية رقم ٣.

(٧) يذكر سويتونيوس: Suet. Claud. 43 أنه بمرور الأحداث أراد كلاوديوس تغيير وصيته لصالح ابنه بريتانيكوس، فقد رمق نظره إلى ابنه وسُمع صوته يقول : يا بنى روما أخيراً يجب أن تنعم برؤية قيصر حقيقى (Verume – caesariem) :
Cf. Levick, B. "Claudius: Antiquarian or Revolutionary"? Am. Jour of Philology, 99 (1978), p. 104.

والتسلط والجبروت يبدو أن زواجه منها كان لأهداف سياسية، واتباع سُنة أغسطس فى التبنى حين تبنى ابنها نيرون وزَوَجَهُ من ابنته اوكتافيا، على نحو ما فعل أغسطس حين تبنى ماركللوس Marcellus ابن شقيقته اوكتافيا، وأقدم على تزويجه من ابنته جوليا، وكذلك حين تبنى تيبريوس ابن زوجته ليفيا وزَوَجَهُ من ابنته جوليا بعد موت زوجها الثانى أجريبا. خاصة وأن أجريبينا كانت تتمتع بخصوصية فى نسبها على نحو ما يذكر تاكيتوس[1]، فهى ابنة حفيدة أغسطس (أجريبينا الكبرى) وحفيدة أنطونيا الثانية (ابنة اوكتافيا أخت أغسطس) أم الإمبراطور كلاوديوس، هذا التشابك استغلته أجريبينا و دفعت كلاوديوس على تبنى ابنها نيرون، وزواجه من ابنة الإمبراطور اوكتافيا. ويبدو أن كلاوديوس – فى رأينا – وافق على هذه الزيجات بسبب كثرة ما تعرض له من مؤامرات فأراد تقوية مبدأ التوريث وشرعية حكم أسرته. خاصة وأن تكرار تصوير نساء الأسرة الإمبراطورية على العملة، وإحياء ذكرى أنطونيا الكبرى واجريبينا الصغرى فى عصر كل من جايوس وكلاوديوس، يدل على الرغبة فى إعلام العامة أن الإمبراطور من نسل أغسطس. فكان ذلك بمثابة دعاية إمبراطورية[2]، وهذا يوضح الفكر السياسى الخاص بالأسرة الملكية التى كانت ترى فى الكاريزما الخاصة بالمؤله أغسطس، هى بمثابة المباركة الشرعية القوية على سلطة الإمبراطور. ومن هنا كان تبنى كلاوديوس لنيرون (ابن أجريبينا) ليكون خليفة له وليس بريتانيكوس (ابن ميساليا الخائنة) على اعتبار أن نيرون هو الوريث الشرعى الأقرب من حيث النسل والسلالة المتصلة بأغسطس العظيم المؤله، خاصة وأنه كان أكبر من بريتانيكوس المولود فى عام ٤١ أو ٤٢. ومن ثم فإن زواج كلاوديوس من أجريبينا، وتبنى نيرون كان دليلاً على استمرار الفكر الأوغسطى فى مفهوم الرئاسة المقدسة أو الحق السلالى للأسرة اليولوكلودية فى الخلافة.

ويصبح السؤال المطروح المُلح، ما هو تفسير هذا التناقض فى تصوير شخصية كلاوديوس، ولماذا قدمها المؤرخون بهذا الشكل الذى يبدو وكأنه لغز محير؟ أن الإجابة على هذا السؤال يدفعنا أن نعود إلى البحث فى حقيقة شخصية

يفسر Levick مقولة سويتونيوس بأن كلاوديوس فى آخر حياته كان يعتزم أن يخلفه ابنه، وكان يأمل أن يحكم بالشكل الذى شعر كلاوديوس بأنه فشل فيه أى بصفته الوريث الحقيقى لأفكار قيصر. ويبدو أن أجريبينا بعد أن مهدت الطريق لابنها نيرون ليكون خليفة لكلاوديوس دست السم للإمبراطور حتى لا يتراجع عن رأيه ولا يصل ابنها إلى العرش.

Cf. Samuel, Veronika Grimm. "On the Mushroom, The Deified the Emperor Claudius", Classical Quarterly, 41 (1991), pp. 178-182

(1) Tac. Ann. XII. 1-2.

ذكر تاكيتوس تلك الخصوصية فى نسب أجريبينا فى معرض حديثه عن زواج كلاوديوس منها وكيف حاول العبد المحرر الإغريقى بالاس إقناع الإمبراطور بهذه الزيجة بناء على خصوصية هذا النسب حتى لا يذهب الشرف الإمبراطورى إلى عائلة أخرى. أما موافقة الإمبراطور على زواجه منها –يبدو فى رأينا– من أجل تقوية شرعية حكم أسرته، وهو نفس الشئ الذى جعل جايوس ونيرون يبذلان جهداً من أجل تطوير عبادة الإمبراطور وجعلها فرضاً من أنظمة الدولة لتقوية شرعية حكمهما وليعوضوا ضعف شخصيتهم (راجع : ناهد الحمصانى، ت. الرومان، ص ص ٢٠٨؛ راجع فيما يلى حاشية رقم ٢ ص ١٩٣، حيث أعطيت المبررات القانونية لهذا الزواج..

(2) Trillmich, W. Familienpropaganda der Kaiser Caligula und Claudius. Agrippina Maior und Antonia Augusta auf Münzen, (Review) by. J. Rufus Fears in AJA., 83, 1979, pp. 498-499.

الإمبراطور كلاوديوس وإلى ظروف عصره. لا شك أن المؤرخين القدامى وعلى رأسهم تاكيتوس وهو من أنصار الحزب الجمهورى المتشدد والمتحيز للسناتو، حين رسم صورة للشخصيات الإمبراطورية، قد تأثر بأحداث لاحقة للعصر الذى يؤرخ له وبتجربته الخاصة تحت حكم دوميتيانوس. هذا العصر الذى شهد ظلم إمبراطورى للسناتو واستبداد وعنف غير مسبوق(١). وتاكيتوس فى هذا يتشابه مع سنيكا الذى عانى هو الآخر من ظلم إمبراطورى. وهذا يدفعنا إلى الوراء، أعنى إلى عصر أوغسطس وبداية الحكم الإمبراطورى الذى عمل على إعادة الجمهورية شكلياً وتقليص سلطات السناتو أمام سلطات الإمبراطور الضخمة. لقد أصاب أغسطس الجمهورية فى مقتل ، وسعى إلى تفتيت آخر حصونها – بالرغم من ارتدائه ثياب الجمهورية وتظاهره بالحفاظ عليها – ولا شك أن خلفاء أغسطس من الأسرة اليولوكلودية خاصة تيبريوس وكلاوديوس صاروا على نهج المؤسس أغسطس، ومن هنا كانت سياسة كلاوديوس المتناقضة أحياناً، نتيجة للصراع الموروث من عصر أغسطس، صراع بين الدعوة للعودة للنظام الجمهورى المثالى من ناحية، وبين الفكر الأوغسطى فى إعادة الجمهورية شكلياً وعدم إحياءها من ناحية أخرى(٢).

فكلاوديوس رغم أنه يمتد بفكره الثقافى إلى عصر قيصر وشيشرون، كما يتضح من كتاباته وتأثره بأستاذه ليفيوس،(٣) إلا أنه بوصفه عضواً فى الأسرة الأمبراطورية ومعاصراً للإمبراطورية فى قمة ازدهارها، كان مُطالباً بالسير على نهج أغسطس. من هنا كانت الازدواجية فى شخصيته التى تجمع بين الروح الرومانية الأصيلة التى سادت فى عصر الجمهورية وبين الفكر الإمبراطورى الراغب فى الجمهورية الشكلية فقط، خاصة الفكر الأوغسطى الجديد المؤمن بالإصلاح والتغيير(٤). ومن ثم فالصراع الذى نشأ بين الأباطرة والمعارضة السيناتورية هو صراع أيديولوجى، لا يمكن التوفيق بين الطرفين فيه، فاستعادة الوضع كما كان والعودة للجمهورية لم يكن أمراً متوقعاً. ومن هنا كان معظم ضحايا المعارضة من المتآمرين الطامحين فى العرش أو من أنصارهم، وبالمقابل فإن حوادث الإعدام الصادرة من الأباطرة –

---

(١) وصف روستوفتزف (ص ١٢٢ وما بعدها) خلفاء أغسطس من الأسرة اليوليوكلودية بالطغيان العسكرى. تلك الفكرة التى ترددت عند القدماء وتبناها بعض المؤرخين المحدثين بسبب تطبيق قانون الـ maiestas منذ عهد تيبريوس ثم جايوس كاليجولا والأباطرة الذين تابعوه. راجع المحاكمات السرية داخل القصور فيما سبق حاشية رقم ٥، ص ١٨٦، ١٨٧.

See,. Rogers, R.S. Criminal trials and criminal legislotion in the Reign of Tiberius, Middletown 1933;

(2) Cf. Levick, op.cit., p. 105.

(٣) ناهد الحمصانى، "حقيقة مرض كلاوديوس"، ص٦٦.

(4) Levick, op.cit., p. 104-105 & n. 72.

يرى Levick أن كلاوديوس جمع بين صفتين القديم والثورى، فقد كان ثورياً لكنه اتخذا لنفسه إطاراً ثورياً من الأطر القديمة التى تنتمى إلى الماضى، فكان لديه حماسة متقدة للجمهورية ولكن هذا الحماس سرعان ما تحول إلى حب للماضى لأجل الحب نفسه، حب عَلَّمه أن يحاول ألا يبقى الماضى دون تغيير وإنما ليبنى عليه.

كما روت الروايات – فى معظمها ناشئة، كرد فعل عن سلوك المعارضة الاستفزازى، وبالتالى لا يمكن إدانة الأباطرة على وضع حرج وجدوا أنفسهم فيه من أجل إنقاذ حياتهم وضمان تأدية واجباتهم بشكل مقبول(١).

إن التوازن بين الفكر الجمهورى والإمبراطورى "الملكى" صعب، وإذا كان أغسطس قد نجح فى سياسته المزدوجة واستطاع أن يجمع بين النظامين المتناقضين، فذلك بسبب ما كان يتمتع به من شخصية وعبقرية ودهاء جعلته يكسب معارضيه(٢) إلا أن كلاوديوس كان يختلف عنه فى عدة أمور: فهو لم يمتلك شباب أوغسطس ولا يمتلك تلك الهالة المقدسة التى كانت لأغسطس "ابن قيصر المؤله.(٣) ولم يحيط به هؤلاء الأصدقاء الذين أعانوا أغسطس على تنفيذ سياسته كأجريبا صديق أغسطس الحميم وزوج ابنته، أو ماكيناس راعى الدعوة للأفكار الأوغسطية، وتسيير الرأى العام وفقاً لهوى أغسطس، أو الشاعر فرجيلليوس الذى كانت أعماله خير معبر عن سياسة أغسطس، وكذلك ليفيا تلك الزوجة التى كانت تسانده فى إصلاحاته الدينية والاجتماعية.(٤)

كان كلاوديوس مختلفاً من كل الوجوه، ووجد المؤرخون القدامى أسبابهم للصق تلك الاتهامات التى نسبوها إليه، وكانوا يرونها طبيعية – من وجهة نظرهم – فقد كانت هناك نقاط ضعف فى شخصه وفى المحيطين به، وقد استغلها هؤلاء المؤرخون فى نقدهم لكلاوديوس وعصره وكان **أولها:** مرضه(٥) الذى أصابه وهو صغير وأراء أسرته فيه وهو طفل، ورغم شفاءه من هذا المرض، إلا أنهم ظلوا يتهكمون على تلك الأعراض المرضية، وجعلوها موضوعاً للسخرية خاصة سنيكا وسويتونيوس. ولم يدركوا تلك الأعراض المرضية، بسبب الحدود الضيقة لعلوم الطب القديم، مما جعلهم يرسمون صورة لكلاوديوس مبالغ فيها ، وتصوره دائماً علي انه شخصية حمقاء خائبة (Imbecillus). تلك الصورة لا ترضى المؤرخ الحديث.(٦)

الأمر الثانى: هو تقلده السلطة على يد الحرس البريتورى أى بطريقة غير دستورية، إن جميع أباطرة الأسرة الأوغسطية، كانوا يشعرون بمسيس الحاجة إلى توطيد أركان سلطانهم، وتأسيسه على دعائم أقوى من مجرد الأسس

---

(1) Idem., loc.cit.

(٢) كان أغسطس يحرص على كسب رضا السناتو رغم حذره منهم وعندما أصدر السناتو قراره بمنحه لقب أبو الوطن Pater Partiae تقدم أغسطس إلى المنصة وعيناه مغرورقتان بالدموع وخاطبهم قائلاً: "والآن أيها الأباء المختارين وقد حققت عهودى ماذا فى استطاعتى سوى أن أرجو الآلهة الخالدة أن تهبنى تأييدكم لى لآخر رمق فى حياتى" (Suet. Divus Aug., 58.2.) راجع: سيد الناصرى. تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ط٢، ١٩٧٩، ص ٣٨، حاشية ١.

(٣) راجع استهزاء سنيكا وسخريته من كلاوديوس فى (Apoc., 5.2).

(٤) ناهد الحمصانى، ت. الرومان، ص ص ١٧٤-١٨١.

(٥) نفسه، "حقيقة مرض كلاوديوس"، راجع أيضاً: Suet. Claud. 6.2; Seneca, Apoc. 3. 2, 4. p. 374

(6) Ernestine, F. leon, "The Imbecillitas of Emperor Claudius". Transactions and Proceedings of the American American Philological Association, vol. 79, (1955), pp. 79-86.

الدستورية القانونية. وقد كان الإقرار الشرعى الدال على تمتع الإمبراطور بالسلطات يجئ بالطبع عن طريق موافقة السناتو (والشعب الرومانى)، أى منح الرئيس الجديد البرينكبس (Princeps) جميع السلطات المخولة لأغسطس التى بمقتضاها يصبح الحاكم أو المواطن الأول فى روما والإمبراطورية. هذا الإقرار الشرعى الذى يأتى من قبل السناتو لم يحدث مع كلاوديوس "Claudius". إلا أن سلطان الإمبراطور أغسطس كان يقوم أيضاً على أساس الجيش والشعب من خلال دعامتين هما السلطان البروقنصلي الأعلى والسلطة التريبونية.(١) ومن ثم فإن انتقال السلطة من أحد أفراد الأسرة اليوليوكلودية إلى فرد آخر، كان يقوم فى أساسه على محبة خالصة متبادلة بين جنود الجيش الرومانى والإمبراطور القائد الأعلى للجيوش، وحامل الامبريوم الأعلى، وهذا ما حدث مع كلاوديوس "Claudius". ومن هنا كان وصف المؤرخ روستوفتزف أن ولاية خلفاء أغسطس تنطوى على طغيان عسكرى.(٢) إن ما فعله كلاوديوس إزاء رشوة الحرس بدفع مكافأة مالية نظير ضمان ولائه له كان سابقه استخدمتها أجريبينا لتأمين العرش لإبنها نيرون،(٣) الذى كانت ميوله الهلينية ورغباته الشاذة وإسرافه الشديد سبباً فى تعرض الإمبراطورية لحرب أهلية (٦٨-٦٩م)، كادت أن تعصف بالنظام الإمبراطورى بل وبالدولة كلها(٤). وكان تدخل الحرس البريتورى البريتورى فى تعيين الأباطرة، وإقالتهم معناه أنه قد أسدل الستار على حلم السناتو فى استعادة السلطة.

الأمر الثالث: هو السمعة السيئة التى لحقت بزوجاته وعبيده المُحَرَّرين، فقد كان سئ الحظ فى نسائه خاصة ميساليا وأجريبينا رغم أصولهم الأرستقراطية، وقد أكد تاكيتوس على أن الجرائم ارتكبت بإيعاز من ميساليا، ومن ثم فهو ينسب الطغيان إليها، هذا إلى جانب فجورها. أما أجريبينا فبالإضافة إلى طغيانها وجشعها للسلطة، إلا أن زواجه منها "غير المقدس(٥) والتأثير الشرقى فى هذا الزواج(٦)، ترك أثره السئ فى الحكم على كلاوديوس، رغم

---

(1) Jones, A.H.M. " The imperium of Augustus", JRS. 41 (1951), pp. 112-119.

(٢) روستوفتزف، المرجع السابق، نفس المكان.

(٣) عن مصادر عصر نيرون راجع: Tac. Ann. XIII-XVI; Suet. Nero; Dio, 61-63.

(4) See: Chilver, G.E.F." The Army in Politics, AD. 68-70", J.R.S. 47 (1957), pp. 29-35; Wellesley, K. The long year AD 69 (London 1975).

(5) Tac. Ann. XI. 25; XIII, 1-7.

(6) cf. Godolphin. "A Note on the Marriage of Claudius and Agrippina", Classical Philology, 29 (1934), pp. 143-145:

يرى المؤلف أن القانون الرومانى لم يقبل زواج العم من ابنة أخيه أو زواج الخال من ابنة أخته (Tac. Ann. XII, 6.5; Suet. Claud. 26.3) إلا أن كل من بالاس العبد المحرر وفيتلليوس الرقيب السناتورى وصديق كلاوديوس وجدا مبرراً لهذا الزواج فى القانون اليهودى خاصة وأن كلاوديوس وأجريبينا كانت تربطهما علاقات شخصية باليهود ومن ثم فإن هيرود الأكبر قد فعلها من قبل وتزوج من ابنة شقيقه (ضمن زوجاته العشرة) إلا أن سميث:

Smith, M.S. "Greek Precedents for Claudius' Actions in A.D. 48 and later", Classical Quarterly, 13, 1969, pp. 139-144.

ذكرهم ما كانت تتميز به من خصوصية فى نسبها. وبرغم المبررات التى أعطيت لهذا الزواج، إلا أن هذه الزيجة السياسية يبدو أنها أوقعت الإمبراطور فى حرج وتناقض، خاصة أن التهمة التى وجهت إلى لوكيوس سيلانوس (خطيب ابنته اوكتافيا) هو وقوعه فى زنا المحارم مع شقيقته أيونيا كالقينا، وكان هذا الاتهام هو الدافع وراء انتحاره[١]. ثم حدث بعد ذلك زواج الإمبراطور من ابنة أخيه أجريبينا، وزواج ابنته من نيرون الابن المتبنى! وقد كان هذا من أسباب اتهام المؤرخين له بالتناقض والغفلة ἀβλεψια- μετεωρία[٢] رغم أن زواج الأبناء من أمهات مختلفات أى ليسوا أشقاء كان جائزاً ومقبولاً لدى الرومان.[٣]

أن انحراف الأولى وميولها الشهوانية، وطغيان الثانية وطموحها السياسى ترك أثره السئ على سمعة كلاوديوس "Claudius"، أما القول بأنهم سيطروا على الإمبراطور فإن هذا لا يعود إلى ضعف شخصية الإمبراطور كما هو شائع، وقد أوضح البحث عند الحديث عن الاغتيالات ضعف تلك المقولة، بقدر ما هو راجع إلى طبيعة تلك النسوة واستغلالهن لطبيعة الإمبراطور الطيبة وكبر سنه، هذا بالإضافة إلى طبيعة هذا العصر الذى كانت النساء تلعب فيه دوراً كبيراً (سلباً أو إيجابا) وذاعت شهرة الكثيرات منهن خاصة فى البيت الإمبراطورى.[٤] أما عبيده المُحَرَّرين وتأثيرهم على الإمبراطور فقد أشرنا من قبل أيضاً إلى عداء السناتو لهم، لأنهم كانوا يشكلون مجلساً خاصاً للإمبراطور داخل القصر. ومن الواضح أن زوجات الإمبراطور وعبيده المُحَرَّرين استغلوا ثقة الإمبراطور فيهم وطيبته

يرى أن الزواج كان بتأثير سوابق إغريقية فى اسبرطة فى الأسرة الحاكمة الملكية أو فى الأسر الحاكمة الهلينستية ويؤيد هذا أن بالاس الإغريقى كان من أبرز مؤيدى هذا الزواج، ورغم أن كلاوديوس كان متردداً من هذه الزيجة لأنه كان بدعة غير مسبوقة فى روما (وإن كان جايوس اتخذ علاقة حميمية مع شقيقته دروسيلا) فقد كان الشعور الرومانى يستهجنه، لكنه يبدو أن الإمبراطور المثقف تفهم كل التجارب السابقة ووجد ما يبررها ومن ثم فى أوائل عام ٤٩ اضطلع المراقب فيتلليوس بمهمة إقناع السناتو بتلك الزيجة على اعتبار أن مثل هذه الزيجات كانت تحدث بشكل معتاد فى أوساط إغريقية وحتى فى روما لم تكن محظورة من أى قانون – إلا أن دوافع كلاوديوس كانت سياسية تتعلق بالأسرة الإمبراطورية ومن هنا كان أيضاً تبنى نيرون ابن أجريبينا وزواج هذا الابن المتبنى من ابنته أوكتافيا على اعتبار أن زواج الأبناء من أمهات مختلفات لا يكونوا أشقاء فهو جائز (Godolphin, p.143) ويبدو أن هذه العلاقات كانت شائعة فى الأسرة الإمبراطورية فقد تزوج ماركوس أوريليوس من شقيقته بالتبنى فاوستيا مما يدل أن هذا صار مقبولاً لدى الرومان (Scramuzza, op.cit., p.92) وحتى فى عصر أغسطس تزوج ماركلوس ابن أغسطس بالتبنى من ابنته جوليا كما يقول بلوتارجوس (Ant. 87)

(1) Tac. Ann. XII, 4, 8, 9; راجع لوكيوس سيانوس فيما سبق حاشية رقم (٤)، ص ١٥٩.

(2) Suet. Claud. 39. 1.

(٣) راجع فيما سبق حاشية رقم (٢)؛ ولمزيد من المعلومات عن التبنى راجع:

Cf. Prevost, les Adoptions politiques à Rome sous la Republique et le Principat. esp. p. 41; Gaheis, Real Ency. III. 28096-9.

(4) cf. Barret, A. Agrippina Sex, Power and Politics in the Early Roman Empire, New Haven & London 1996; Burns, Jasper. Great Women of Imperial Rome: Mothers and Wives of the Caesars. New Yourk: Routledge, 2007.

وصاروا من الأثرياء على حساب عدد من الضحايا من السيناتوريين والفرسان.[١] وقد كان هؤلاء العبيد المُحَرَّرين فضلاً عن كونهم مكروهين، إلا أنه كان يُخشى منهم ويُستمال جانبهم، وكانوا هم بدورهم راغبين فى إذلال وكسر كبرياء أى رومانى يحتقرهم، ولقد رأينا سنيكا نفسه فى منفاه فى كورسيكا يتودد إلى العبد المحرر بوليبيوس، يرجو كرمه. إن كراهية العبيد المُحَرَّرين ونفوذهم وضحت أيضاً عند تاكيتوس فى سخريته من غناءهم الفاحش وقبول الإمبراطور بذلك[٢]، وكان ذلك من دواعى تحامل المؤرخين على الإمبراطور.

أما الأمر الرابع : فهو سياسة الإمبراطور المركزية، وشيوع تلك المقولة التقليدية بين الكثيرين التى مفادها أن الإمبراطور أقام بيروقراطية يديرها عبيده المُحَرَّرين وأهالى الأقاليم وأن تلك السياسة قضت على سيادة السناتو.[٣] وسوف نطيل بعض الشئ فى شرح هذه النقطة، لأن هذا الادعاء فى اعتقادنا هو أساس الخلاف بين كلاوديوس ومعاصريه من المعارضين له. وهو يفسر لنا من جانب تلك الإجراءات التى اتخذها الإمبراطور ضد المعارضة السيناتورية، ويفسر من جانب آخر سبب تخليه – إلى حد ما – عن سياسة قيصر الذى كان معجباً به منذ شبابه وهو ما سوف نشرحه فيما يلى. أما فيما يخص القول أنه أقام بيروقراطية يديرها عبيده المُحَرَّرين ففيه كثير من المغالطة ذلك لأنه من الواضح أن كلاوديوس كان هو المنظم لوزارته البيروقراطية، وقد هيمنت شخصيته عليها. بل إن دراسة متعمقة لفكر كلاوديوس السياسى تجعلنا نعتقد فى أمرين :

١–أن أفكار كلاوديوس السياسية لابد وأن تكون قد تشَكَّلت فى مرحلة شبابه – فى وقت فراغه المجبور عليه خلال فترة استبعاده عن السلطة[٤] – وذلك من خلال قراءته التاريخية التى بدأت بتشجيع من أسرته وأستاذه ليفيوس، وتجربته كشاهد عيان للعصر الإمبراطورى فى قمة ازدهاره. تلك الملاحظات التى كونها عن حكام عصره (أغسطس وتيبريوس وجايوس) هى التى منحته فرصة تأمل نظام البرنكباتية Principatus من

---

(١) راجع فيما سبق حاشية رقم (٥)، ص ١٨٦.

(2) Tac. Ann. XII, 52.3; Dio. 61, 34; Suet. Claud. 28.

يسخر تاكيتوس من قول كلاوديوس أن بالاس سوف يبقى مسروراً بالألقاب الشرفية التى منحها مجلس السناتو إياه على أن يقبل أى مكافأة مالية ويظل فى إطار الفقر السابق. أن تاكيتوس يضع هذا الحديث بعد خطاب الإمبراطور وهو يمتدح السناتوريين الذين رحلوا عن المجلس من تلقاء أنفسهم وذلك حتى يعقد نوعاً من المقارنة أو المفارقة بين طرد كلاوديوس للسيناتوريين من المجلس وتركه للعبد المحرر الذى كان ثرياً للغاية (٣ مليون سستركيس) فى حين أن القرار الإمبراطورى يمتدح ما كان يتمتع به من "تقشف قديم" **antiqua parismonia**.

(٣) تلك المقولة التقليدية شاعت منذ أن طرحها موميليانو فى كتابه السابق ذكره، فصل ٤، صص ٣٩–٧٣ خاصة ص ص ٣٩–٤٣، ص ٥١، ومن أمثلة المعارضين لها:

Scramuzza, op.cit., levick, op. cit; Rathbone, O.W. Claudian Continuity, Classical Rev. 47, n.1 (1997), pp. 125-126 (Review: Dio regierungszeit des Kaisers Claudius (41-54. n.ch) um bruck oder Episdo? By. V. M. Strocka; Taylor, Tristam, Claudius: The Administrator?, London, 1998.

(٤) راجع ناهد الحمصانى، "حقيقة مرض كلاوديوس"، ص ص ٦٥–٦٨.

منظور متعمق لها، وعندما تحقق له منصب البرينكبس أخيراً، كان كلاوديوس قد قطع أربعين عاماً من الدراسة من خلالها تَكَوّن مفهومه الخاص نحو نظام الرئاسة. وبالتالى يمكن القول بأن أفكاره قد وضعت قبل تنفيذها نتيجة اعداد طويل.

٢-أن هذه الأفكار تم تطبيقها – عادة – وفقاً لما تقتضيه الظروف، وهو ما سوف يتضح فيما يلى من إجراءات اتخذها الإمبراطور من أجل دعم سياسته المركزية.(١)

أما القول بأن تلك المركزية قضت على سيادة السناتو فهو أيضاً قول فيه بعض المبالغة، ذلك لأن أراء كلاوديوس السياسية وقناعته الفكرية كانت تؤمن بأن عظمة روما تكمن فى تقدمية قائمة على التقاليد القديمة على الغرار الجمهورى. ومن بين الأدلة على إيمانه بالتقاليد الرومانية القديمة رفضه فكرة تأليهه ورفعه إلى مصاف الآلهة، وهذا وضح جلياً فى رسالته التى بعثها إلى أهل الإسكندرية وفيها رفضاً باتاً لقبول الطقوس الإلهية أياً كانت، فتأليه الحاكم الرومانى وهو على قيد الحياة فكرة تعافها النفس الرومانية. ولم يكن احترام كلاوديوس للتقاليد الرومانية مظهراً سطحياً كما ظن موميليانو(٢). لقد أثبت كلاوديوس احترامه لتراث أغسطس وإنه كان دائم التعديل فيه وفقاً لما يطرأ من ظروف باستمرار(٣). ولا شك أن احترام كلاوديوس للسناتو من الناحية النظرية كان صادقاً، وقد ذكرنا أنه أثناء رقابته اتبع طريقة متحضرة تتناسب مع التقاليد الرومانية مع الذين طُردوا من المجلس مما خفف من حدة عار استبعادهم، وهناك عدة مظاهر وردت فى المصادر عند تاكيتوس وسويتونيوس دلت على احترامه للموظفين واعتداده بأفراد منهم(٤). إن رغبة كلاوديوس فى زيادة وقار مجلس السناتو واضحة، لقد أبدى رغبة أكيدة فى التعاون مع

---

(١) على سبيل المثال الإجراءات التى اتخذها إثناء مشروع توسيع ميناء أوستيا، وكذلك تلك الإجراءات التدريجية التى اتخذها من أجل السيطرة على تعينات القناصل والسناتور كرد فعل للمعارضة الشديدة التى كانت ضده.

(2) Momigliano, op. cit., p. 43.

(3) Rothbone, op. cit., p. 125-126.

يشير (Rothbone) إلى التجديد الذى حدث فى عهد كلاوديوس الخاص بعملية الإحياء الباروكى المتعلقة بفن التصوير الزيتى على الجدران فى بومبى وروما، ويشير أنه كان فى إطار المخزون الأوغسطى. كذلك فإن Southerland:

Sutherland, C.H.V. "Claudius and senatorial Mint", JRS., 31 (1941), pp.70-72.

يؤكد على استمرار كلاوديوس فى سياسة أغسطس فى سك العملة من حيث تقييد مشاركة السناتو فى سك العملة عند حدود صك النقود النحاسية لإيطاليا وينتقد قول موميليانو (ص ٤٠ وما بعدها) فى "أن كلاوديوس أظهر رغبة عريضة فى الاعتراف بحقوق السناتو من خلال إعادة صك العملات النحاسية (aes) الخاصة بالمقاطعات ونشرها بوفرة كبيرة وكانت هذه العملات تحمل علامة السناتو (SC) واعتبر هذا إجراء من الإجراءات التى تجعل كلاوديوس مختلفاً عمن سبقوه من الأباطرة". ويشرح Sutherland فى هذا المقال أنماط وطبيعة دور سك عملة (aes) الخاصة بالمقاطعات ويبرهن على المفهوم الخاطئ عند موميليانو.

(٤) راجع فيما سبق حاشية رقم (٧)، ص ١٦٠، ١٦١ حملته لوقار السناتو، ورغبته فى أن يكون واحداً من جهاز السناتو واحترامه للموظفين الحكام.

أعضائه، ولدينا أدلة تبرهن على هذا، فقد كان دائماً يناقشهم، ويرد على أرائهم الجدلية، وقد وضح هذا فى خطابه فى السناتو الخاص بدخول الغال المجلس، حيث عرض كلاوديوس عليهم القضية باعتدال وحاول إقناعهم بالمرحلة الجديدة.

ونفس النبرة نجدها فى بردى برلين[1] بشأن إصلاحاته القضائية حيث يطلب كلاوديوس من رجال السناتو أن يتحملوا مسئولياتهم ويدلوا برأيهم، وفيما يلى ترجمة لفحوى جزء من خطابه الهام أمامهم:

إذا قبلتم أيها الآباء ما أشير إليه (من مقترحات خاصة بإصلاحات) **فصرحوا بشكل واضح ولا تحرمونى من إبداء الرأى وإذا لم تقبلوها فأوجدوا البدائل، وأذكركم أن تعربوا عن رأيكم (متى دُعيتم). لكن لا يناسب وقار المجلس (*maiestas huius ordinis*) أن يقوم القنصل المرشح بتكرار أقوال القناصل كلمة كلمة بينما الآخرون يقولون "موافقون"، وبعد الخروج من هذا المكان يقول أنه تمت الموافقة على ما قد قلت.**

حقاً إنها إشارة نقدية رقيقة، ولكنها بالغة المعنى فهى تشير إلى أن كلاوديوس كان يمتلك أسلوباً، نابع من حاكم يمتلك المنطق أمام أقرانه ويفهم طبيعتهم جيداً ويرغب فى التعاون معهم، ولكنها تشير أيضاً إلى لامبالاة أعضاء المجلس السيناتوريين وحرص الإمبراطور على وقار المجلس والتقاليد الرومانية، حين كان المجلس يؤدى دوره فى النقاش وإبداء الرأى بما له من خبرة. قد يقول قائل أن خُطب كلاوديوس أمام السناتو هى مجرد أقوال جوفاء، إلا أنه يُرد على ذلك أن أقوال كلاوديوس صاحبتها أفعاله؛ فقد أعاد إلى مجلس السناتو عام ٤٤ ولاية (مقدونيا وآخايا) التى سلبها منهم تيبريوس لتصبح ولاية إمبراطورية[2]. وأعاد لمجلس السناتو انتخاب الحكام الذى نقله جايوس من قبل

---

(1) BGU, 611; Charlesworth, Docs. 3, col.3; Stroux.J., Eine Gerichtsreform des Kaisers Claudius (BGU.611) Sitzungsberichte der Bayerischen Akademie der wissenschaften, philosophisch philologische und historische klassc, Jahrgang 1929, (Heft 8.) Munchen. 1929.

8. Excusa [.... re] montiet. c [ognita].
Caussa. Negotium. r [eliquguis] se .. videri [.....]
10. haec. p. c. si. vobis. placen [t. pal]em. signi [ficabo]
simplicenter. et. exanim [i mei]. sentent [ia. Sin]
displicient. aliam [sic] reper [ite]. sed. hic. in[tra]
templum. remedia. au[t. si a] d cogitandum [....]
vobis. s[um] ere tem [p] us [.....]e. laxsi. s[patii]
15. dum. qu[ocu] mque. loci [.....] fueritis [....]
mem [iner] itis. vobis di [cendam.] esse. sem [tentiam]
min[ime.] enim de [..][....] t.p.c.m [.....]
huius. r[..] nis. [sic] hic. um [...a] utumno [.....]
consule [m]. designatum [...] scriptam
20. relati. [..]e. consulum. Sic a[d. ver] bum dicere
senten [tia] m. ceteros. u .. [....] verbum. dic[ere]
adse [nti]or. deinde. [....] ierint. dix [i]

(2) Suet. Claud. 25. 3.

إلى الجمعية القبلية Comitia tributa[١]. كما وزع المقاطعات الإمبراطورية الجديدة توزيعاً عادلاً فيما بين الموكلين الموفدين (legati) من أعضاء السناتو والفرسان، فوزع المقاطعات المهمة مثل بريطانيا وليكيا بحيث تؤول إلى الموفدين التابعين لمجلس السناتو وتؤول موريتانيا وتراقيا ويهوديا إلى الموفدين الآخرين من الفرسان[٢].

حقاً أن كلاوديوس اتخذ بعض الإجراءات المضادة لسلطة السناتو مثل جعل منصب القضاء بمحكمة العدل العليا تابعاً للإمبراطور، وتوليه مهام تشكيل السياسة القضائية والإدارية، تلك التى كان يتولاها السناتو من قبل[٣]. إلا أن هذا الإجراء وكثير من إجراءاته الأخرى نحو تقليص سلطة السناتو مثل adlectio الجديدة والسيطرة الإمبراطورية العامة على الانتخابات داخل السناتو، وإيجاد بطارقة جُدد[٤]، ومنح التكريم ius honorum إلى الغال[٥]. كذلك السلطة القضائية التى منحت إلى البروكوراتوريين التابعين للإمبراطور فى الأقاليم التابعة لمجلس السناتو [٦]، وتوسيع دائرة اختصاصات خزانة الإمبراطور Fiscus وجعل تمويل اطعام الغلال Frumentationes من تلك الخزانة[٧] والتقييد المقابل للخزانة الأهلية (Aerarium) التابعة لمجلس السناتو. كل هذا صحيح من حيث إضعاف اختصاصات مجلس السناتو، لكن ليس كما يذكر موميليانو[٨] أن المجلس كان مجرداً من السلطة من خلال تأسيس السكرتارية الإمبراطورية، أو أنه تحول إلى كيان بدون سلطات. أن تلك الإجراءات التى اتخذها كلاوديوس وإجراءات أخرى – مثل تأسيس procurator aquarum فى مدينة روما[٩]، أو بعض الإصلاحات العسكرية الصغرى[١٠]، أو تقديم حوافز خاصة لمستوردى القمح، أو إلغاء منصبين منقرضين للكوايستور quaestor Ostiensis, quaestor Gallicus وإنشاء منصب procurator Portus Ostiensis خلال برنامجه الإصلاحى

---

(1) Alindon, (1957), p. 284, and nos. 49, 51.

(2) Scrumuzza, op.cit. loc. cit.

(3) Momigliano, op.cit., pp. 43-44.

(4) See Momigliano, op.cit. pp. 44-45; Charlesworth, CAH., 10, p. 677.

(5) ILS 212, Dessau, ph. Pabia, la table Claudienne de Lyon = Smallwood, Docs. 369; Momigliano, op.cit. p.54.

(6) Brunt, P.A. "Procuratorial Jurisdiction". Roman Imperial Themes (Oxford, U.P., 1990) ch.8

(7) Momigliano, op.cit., pp. 46-47; Jones, A.H.M. Studies in Roman Government and Law, Oxford, 1960, esp. ch. 6. "The aerarium and the fiscus".

كان المبرر للأباطرة فى توسيع اختصاصات الخزانة الإمبراطورية (*Fiscus*) هو تخفيف العبأ عن الخزانة العامة الأهلية (*Aerarium*) التى يشرف عليها السناتو وبذلك يتحمل الإمبراطور أى عجز فى الإدارة المالية للولايات، ويبدو أن السيناتو رضى بهذا الامر. وكلما زاد الانفاق على الأغراض العامة من قبل الإمبراطور كلما أصبح من العسير التمييز بين الموارد الخاصة للإمبراطور وبين الدخل العام للدولة راجع: ناهد الحمصانى – ت. الرومان، ص ص ١٣١-١٣٤.

(8) Momigliano, op.cit., p. 43.

(9) Smallwood, Docs., 368; ILS 206; Scramuzza, op.cit., p.159 f.; Momigliano, op.cit. p. 46.

(10) Momigliano, ibid., pp. 47-48.

الخاص بتوسيع ميناء أوستيا (Ostia) [١]– ان هذه الاجراءت إن دلت على شئ فإنها تدل على أن كلاوديوس كان كان يناضل نضالاً جاداً من أجل إقامة إدارة مركزية قوية ذات كفاءة ونزاهة[٢] ألم يكن أغسطس البادئ لتلك السياسة البيروقراطية وبذر بذورها؟ ألم يكن هذا هو سر عظمة أغسطس الإدارية ؟! أليس أغسطس هو الذى وضع نفسه فوق الجمهورية وجرد مجلس السناتو من كثير من سلطاته الفعلية، وكان هو الحاكم المطلق الأوحد رغم ارتدائه قناع الجمهورية.[٣] ان تلك الاجراءت علي مايبدو، لم تكن موجهة ضد المجلس فى حد ذاته– والثابت احترامه لتلك المؤسسة– بقدر ما هى إجراءات كان الهدف من وراءها هو الخضوع لإشراف الإمبراطور شخصياً. ذلك لأن هناك أدلة عديدة تؤكد على أن كلاوديوس اعتمد على مجلس السناتو اعتماداً أكبر مما كان عليه سابقيه من الأباطرة. فبالمقارنة إلى عدد السيناتور والفرسان الذين يشكلون مجلس أصدقاء الإمبراطور (amici caesaris) يتضح أنه كان لدى كلاوديوس عشرين من أعضاء مجلس السناتو وثلاثة من الفرسان، بينما الإمبراطور أغسطس كان لديه عشرة من أعضاء السناتو وثمانية من الفرسان. أما تيبريوس فله أربعة عشرة من أعضاء السناتو وفارساً واحداً، كذلك جايوس كان لديه فارساً واحداً وأربعة من أعضاء مجلس السناتو[٤].

أليس هذا مدعاة لتغيير نظرية القائلين بأن إجراءات كلاوديوس نحو تفعيل المركزية قضت على سيادة مجلس السناتو ونفوذ الأرستقراطيين الرومان على الأقل فيما يتعلق بمسألة تشكيل السياسات واستمرار المجلس يلعب دوره كمستشار[٥]. إن كلاوديوس وهو يقوم بتلك الإجراءات كان عليه أن يتجاهل وجود مجلس السناتو من أجل ضمان نجاح تلك الإدارة. لقد كان أشد جرأة من أغسطس فى التغيير، خاصة وان هذا التغيير لابد ان ينظر اليه في ضوء تلك المعارضة السيناتورية المستمرة – التى تحدثنا عنها فيما سبق– وفشله فى سياسة المصالحة مع السناتو. فكلاوديوس رغم إعلانه احترام السناتو واتباعه سياسة المصالحة، الا إنه لم يجد النتيجة المرجوة، فقد استمرت

---

(1) Suet. Claud. 24.2; 25, 2; Dio.60.24.3; Charlesworth, CAH., 10, p. 689, Scramuzza, op.cit. p. 169.
(ترى م. سكراموزا أن أماكن بناء السفن والقواعد البحرية التى كانت تحت إدارة هذين الكوايستوريين يبدو أنها قد انتقلت مع توسيعات بناء ميناء اوستيا. ويبدوان تمركز الأسطول فى Misenum و Ravenna ترك هذين الكوايستوريين بلا عمل أو عمل قليل ومن ثم انتقلت القيادة إلى إدارة جديدة وهى الإدارة الإمبراطورية).

(2) Scramuzza, (Review) on Claudius: The Emperor and his Achievement by Arnaldo Momigliano in Class. Philology, Vol. 32, 1937, p. 173.

(٣) ناهد الحمصانى، ت. الرومان، ص ٩٦ وما يليها، ص ص ١٠١-١٠٢.

(4) Alindon, "Sentatrorial advancement in the Age of Claudius", Latmous, XVI (1957), pp. 252-262; Crook, J.A. Consilium Principis: Imperial Councils and Consellors from Augustus to Diocletian (Combridge U.P., 1955).

(5) Alindon, op.cit. loc. cit.; Alindon, (1957), p. 284:
يشرح أليندون أن جايوس أعاد دور الجمعية القبلية (الـ Comitia)، إلا أن ما حدث بين تقلد كلاوديوس للسلطة وبين الخطوة التدريجية نحو السيطرة الإمبراطورية العامة على الانتخابات داخل السناتو يشهد بأن السناتو ظل يلعب دوراً هاماً.

المؤامرات ضده. لقد كان أمام تيار عنيد من المعارضة، وصل به الأمر – كما سبق وذُكر – أن يطلب من مجلس السناتو إصدار قانون لحماية شخصه! ولم يلتفت ناقدوه أنه فى مطلبه هذا إنه كان يبحث عن أساليب دستورية بدلاً من اللجوء إلى ذلك النمط ، الذى يلجأ إليه الحكام الطغاة المستبدين لحماية أنفسهم. لم تر المصادر القديمة الناقدة له هذا الأمر، وإنما رأت حاكماً ضعيفاً يصرخ ويستغيث بشكل مهين(١).

علينا إذاً ونحن نتحدث عن سياسة الإمبراطور المركزية ألا نغفل تلك المعارضة السيناتورية وأثرها فى سياسة الإمبراطور. إن كلاوديوس – كما سبق وذُكر – صُدم باحداث عام ٤١، فحين صار هو الشخص المناسب للعرش بعد مقتل كاليجولا،(٢) جاءت المفاجأة أن يتولى العرش على يد الحرس البريتورى وبموافقة شعبية. ولكنه وجد المعارضة من أفراد من الطبقة السيناتورية، وهو الرجل الذى كان مخلصاً للأفكار الجمهورية، وهكذا وجد كلاوديوس نفسه متقلداً للسلطة فى جو من الاستياء والتآمر، فبعد عام واحد من توليه السلطة كانت مؤامرة فينسيانوس ومساندة سكريبونيانوس حاكم دالماتيا وشاركهم آخرين. وتبع تلك المؤامرة مؤامرات أخرى عديدة(٣). ومن ثم كان لابد أن يغير أفكاره ورؤيته التى كونها عبر سنوات طويلة – خاصة وقد رأى مقتل جايوس، وعاش من قبل جو الخيانة ضد تيبريوس – فكان عليه أن يتبع سياسة حذرة ولا شك أن تلك السياسة الحذرة ساهمت فى إجهاض جهوده المخلصة نحو المصالحة. لقد أدرك كلاوديوس أن سياسة المصالحة مع السناتو حتمية، ولكنها لم تكن ذو فاعلية. ومن هنا لجأ إلى إجراءات نحو سياسة مركزية وتقوية سلطاته.

لقد شغل كلاوديوس منصب القنصل(٤) مع لارجوس عام ٤٢ وهو نفس العام الذى شهد تمرد سكريبونيانوس، وشغل منصب القنصل عام ٤٣ مع فيتلليوس وتكررت حوادث التآمرخلال الأعوام الثلاثة ٤٤، ٤٥، ٤٦(٥)، مما

---

(1) Suet. Claud. 36; cf. 13.

(٢) ناهد الحمصانى، "حقيقة مرض كلاوديوس"، صـ ٧١ وما يليها.

(3)Alindon (1957), p. 81; Swan, op.cit., esp. pp. 151-155.

يوضح Swan التحالفات السياسية ضد كلاوديوس وكذلك التحالفات التنافسية بين المتآمرين بعضهم البعض ومثال على ذلك:

Vinicianus + Scribonianus-; M. Vinicius + L. Annius Vinicianus # C. Sentius Saturinus + Q. Pompnius Secundus-; L. Annius Vinicianus # V. Asiaticus.

وبرغم الهدايا التى قدمت إلى أبناء المشاركين فى تمرد سكريبونيانوس (Dio,60.16.2) إلا أن العداوة التى يحملها بعض السناتور ظلت مثارة، فتلى تمرد سكريبونيانوس محاولات أخرى لاغتيال كلاوديوس (راجع فيما سبق حاشية رقم (٤)، ص ١٥٧)، فالسنوات التى تتوسط هذا التمرد وحلول عام ٤٧ (عام رقابة كلاوديوس) هى التى تفسر أسباب نصف هذه الأحداث الدامية التى وقعت فى هذا العصر ، ومن هنا تأتى أهمية ضياع كتب تاكيتوس . كذلك فإن المصادر الأخرى تتعمد إخفاء هذا راجع: (*Dio,60.29 ; Suet. 27;29*). وذكرنا على سبيل المثال. حالة موت بومبيوس ماجنوس، راجع فيما سبق حاشية رقم (٢)، ص ١٦٧.

(4) Gallivan Paul, "The Fasti For The Reign of Claudius", The Class. Quarterly, 28 (1978) p. 407.

(5) Alindon, (1957)., p.285; Gallivan, op. cit. p. 408

(شهد عام ٤٤): تولى منصب القنصل كل من ;T. Statilius Taurus + C. Passienus Crispus 11

يفسر بأن السيناتوريين المنتخبين أساءوا إجراءات الاستقلال التى أقرها كلاوديوس. ومن هنا عمل على زيادة تقوية الحزب الإمبراطورى المؤيد له داخل السناتو عن طريق الانتخابات adlections[1]. وشهدت الفترة القنصلية الثانية لكلاوديوس مع فيتلليوس عام ٤٣ تغيراً ملحوظاً فيما يتعلق بانتخابات القناصل، وخلال السبع سنوات من بعد عام ٤٧ إلى ٥٤ أى منذ فترة رقابة كلاوديوس لنهاية عهده لم يكن هناك قنصلاً تعيَّن فى منصبه معادياً لكلاوديوس[2]. خاصة وأن كلاوديوس عمل أثناء فترة رقابته ٤٨/٤٧ على تطهير المجلس ومراجعة قوائمه. فى هذه الفترة قام كلاوديوس بطرد أولئك الذين يعادونه وأحل محلهم مرشحين مؤيدين له. وتتضح نظرة كلاوديوس الثاقبة أيضاً فى انتقائه للوكلاء الموفدين إلى الولايات، فمن بين هؤلاء ٢٣ قنصلاً موفداً و٧ برايتور موفداً (legati) قام كلاوديوس بتعيينهم، وبقى الجميع موالين له[3]. هكذا اتخذ كلاوديوس خطوات تدريجية من أجل سيطرته على السناتو، ومن ثم فقد تميزت السنوات التى تلت تولى كلاوديوس الرقابة بأنها أكثر هدوءاً من السنوات التى سبقت توليه الرقابة، حيث هلك فيها فقط اثنين هما لوكيوس سيلانوس (وقد مات عام ٤٩) والقنصل ستاتليوس توروس Statilius Taurus الذى مات عام ٥٣[4] (وهو حفيد الخطيب المفوه ڤاليريوس ميسالا كورڤينوس M. Valerius Messalla Corvinus الذى عاش فى عصر أوغسطس). أما عام الرقابة فقد تميز بإدانة اسياتيكوس Asiaticus وسيليوس

و(عام ٤٥) : : M. Vinicius 11 + T. Statilius Taurus Corvinus

و(عام ٤٦) : D. Valerius Asiaticus 11 + M. Lunius Silanus

أما القنصل فينيسيوس وكان متشوقاً للعرش فقد مات مسموماً وزميله القنصل ستاتيليوس كورفينوس فقد تآمر على كلاوديوس فى نفس العام. وتمت إدانة إسياتيكوس فى عام رقابة كلاوديوس. أما زميله لونيوس سيلانوس – الذى اضطر شقيقه – لوكيوس سيلانوس خطيب ابنة الإمبراطور – إلى الانتحار فى بداية عام ٤٩ – مات هو الآخر مسموماً فى نفس العام الذى زُعم أن كلاوديوس هو الآخر لقى مصيراً مماثلاً

See. Rogers, Treason in The Early Empire, JRS. 49 (1959), pp. 90-94; Bauman, R.A. The Crimen Maiestas in the Roman Republic & Augustan Principate, Johannesburg, 1967.

(1) Alindon,(1957).. p. 286.

(2) Idem.

فى عام ٤٨ استلم أبناء فيتيليوس مناصبهم كقناصل (أحدهم قنصل Suffectus) وفى عام ٥٠ استلم انتيستيوس فيتوس Antistius Vetus (وكان قد عين بديلاً عن Asiaticus عام ٤٦) ثم تقلد منصب القنصل مجدداً مع ابن القاضى Suillius سيوليوس الذى أعدم كثير من المتآمرين، وعام ٥٢ تقلد سولا فيلكس Sullafelix ابن زوج كلاوديوس منصب القنصلية مع ابن ل. سالفيوس أوتو L. Salvius otho الذى كان الإمبراطور مدينا لولائه وإخلاصه له.

(3) Alindon, Ibid., p. 283.

(4) Alindon, (1956), p. 129 f.

كانت التهمة الموجهة إلى ستاتليوس توروس كورفينوس الابتزاز وأعمال السحر – ويقال أنها بوحى من أجريبينا طمعاً فى بساتينه، فى حين كان شقيقه قنصل عام ٤٥ متآمراً أيضاً ضد كلاوديوس عام ٤٦ مما يوحى أن تلك العلاقات الأسرية تظهر أسباب للإدانات غير تلك التى تذكرها المصادر. وأن تتبع التاريخ العائلى لهؤلاء المعارضين يوحى بأن نبالة تلك العائلات والمظالم العائلية المصاحبة للتآمر يمكن تتبعها فى أكثر من عهد إمبراطورى. (راجع على سبيل المثال شجرة عائلة فانيوس – شكل ١، ص ٢١٧).

Sillius المتآمر مع زوجة الامبراطور الخائنة ميسالينا. هكذا وكما يذكر سويتونيوس[١] فأن الإمبراطور مع نهاية هذا العهد سيطر على تعيينات القناصل.

هكذا فانه إزاء التآمر ضد الإمبراطور وفشل سياسة المصالحة، يمكن تفسير سياسة الإمبراطور فى السيطرة على السناتو، خاصة مع استسلام ولا مبالاة أعضائه. وضاعت جهود الكثيرين من أجل استقلالية السناتو وكان ذلك بسبب التآمر غير المجدى.

ومن ثم فإنه يمكن استنتاج مما سبق ما يلى:

١. إن سياسة الإمبراطور المتناقضة، بين إعلانه احترام السناتو وتقليص سلطاته فى نفس الوقت، كانت بسبب فشله فى سياسة المصالحة مع السناتو، وإن المؤامرات والمعارضة السيناتورية قد لعبت دورها فى السياسة المركزية البيروقراطية التى اتبعها كلاوديوس، فهى تشرح كثير من التصرفات والإجراءات التى اتخذها كلاوديوس لتوطيد سلطاته ومركزية حكمه وإعادة هيكلة الدولة.

٢ . إن وضع اختصاصات الإمبراطور المالية فى يد موظفيه الإمبراطوريين وعبيده المُحَرَّرين هو ما دفع البعض إلى القول أن هؤلاء العبيد المُحَرَّرين هم الذين يقودون الإمبراطور، وذلك من أجل إبراز ضآلة شخصيته، فى حين أن الإمبراطور وجد فى هذه الطبقة الإخلاص له مقابل ذلك العداء السيناتورى. ولقد ذكرنا من قبل أن عداء ناركسوس لميسالينا وشركائها لم يكن صراع درامى بين العبيد المُحَرَّرين والأرستقراطيين، وإنما ناتج عن شعور صادق إزاء الانتماء لبيت كلاوديوس الإمبراطورى. لقد كانت المعاملة طيبة بين كلاوديوس وتلك الطبقة الاجتماعية منذ أن كان صغيراً[٢]. فكلاوديوس لم يكن شخصية تتسم بالدهاء، بل كان بسيطاً صريحاً، طيباً بطبعه وهذا الذى جعل كثير من المتآمرين يظنون أنه قد آن الأوان للتخلص منه ومن نظام الرئاسة.

٣ . أن تلك البيروقراطية الإمبراطورية قد أضرت بلا شك بطبقة الشيوخ والفرسان، فقد أصبح هؤلاء يأخذون الأوامر من عبيد الإمبراطور المُحَرَّرين. والأسوأ من ذلك أن الفرسان كانوا يسيطرون فى السابق على الحياة الاقتصادية، اما الآن فقد صاروا مهددين بالإصابة بالشلل نتيجة تمركز الثروة فى أيدى الإمبراطور. ومن ثم فقد وجدت الكراهية متنفساً لها فى دس المؤامرات والتى كان ينظمها فى الأغلب الفرسان وكان رد فعل الإمبراطور لا هوادة فيه.[٣]

٤ . إن الصراع بين الأباطرة والسناتو كان بسبب مفاهيم مختلفة بشأن جوانب جوهرية، فهو صراع (أيديولوجى) غير قابل للتوفيق، وكان فى أغلبه ناشئاً عن سلوك المعارضة الاستفزازى ومن ثم كانت عقوبة الإعدام حتمية، مع

---

(1) Suet. Claud. 46.

(2) Suet. Claud. 40. 2.

(٣) راجع حاشية رقم (٢)، ص ١٥٩.

ملاحظة أن هذا العداء السيناتورى رغم شدته إلا أنه لم يكن يمثل وحدة للمعارضة ، ومن ثم فإن عداء كلاوديوس لم يكن ضد السناتو كمؤسسة سياسية وإنما ضد أفراد متآمرين على حكمه.

لذلك نرى أن تلك المؤامرات كانت نقطة تحول خطيرة فى تاريخ السناتو وفى حياة كلاوديوس أيضاً. ويمكن القول أن تاريخ السناتو فى عهد الأباطرة اليوليوكلوديين، هو تاريخ تكيفه وتأقلمه مع نظام سياسى جديد ظلت تداعياته مختفية على عهد أغسطس، ونقطة التحول فى الاستياء من نظام البرينكبس ربما بدأت فى الظهور فى الفترة التى سبقت عهد كلاوديوس وزادت على نحو أعنف فى عهده[١] بسبب تطبيقه تلك المركزية الإدارية فى الحكم، إلا إننا حين نصل إلى عهد الأباطرة الصالحين الأنطونينيين فإننا نكاد لا نجد تلك المعارضة، وذلك لأن السناتو كان قد تغيرت ملامحه تماماً، إذ دخلت عائلات جديدة وأفراد جدد من أهالى الأقاليم وحلوا محل الطبقات القديمة، وتحول السناتو إلى كيان يضم مجموعة من الأفراد يرضى عنهم النظام الذى اختارهم، حين صارت الكفاءة والولاء وليس الأصل النبيل هو مناط الترقى واكتساب المزايا.[٢]

إلى جانب موضوع المعارضة السيناتورية والاغتيالات الإمبراطورية المصاحبة لها والتى كانت سبباً فى تقليص الإمبراطور لسلطات السناتو واتباع سياسة حذرة، فإنه يجب علينا أن ننظر أيضاً إلى سياسة الإمبراطور المركزية وإدارته البيروقراطية فى ظل أفكار كلاوديوس التقدمية وعلاقته بالأقاليم، خاصة فيما يتعلق بمنح حقوق المواطنة لرعايا روما من غير الرومان، وسياسته فى تأسيس مستعمرات رومانية فى الشرق والغرب،[٣] وهو الأمر الذى نلمح فيه تأثر الإمبراطور بقيصر وإعجابه به. ان سياسه كلاوديوس نحو قبول أبناء الغال داخل المجلس كما ورد فى خطابه فى السناتو لم تعجب سنيكا وكانت سبباً فى تهكمه على الإمبراطور، فى أنه يريد أن يرى العالم مرتدياً "التوجا" الرومانية. ومما لا شك فيه أن رغبة كلاوديوس فى إدخال عنصر جديد داخل الأرستقراطية القديمة المعارضة داخل السناتو من خلال المقترح الذى عرضه أمامهم فى خطابه، كان لطمة أخرى ثقيلة على وجه السيناتور الأرستقراطيين. إلا أنه يجب علينا النظر إلى سياسة الإمبراطور فى هذا الشأن فى ضوء ظروف العصر، وما جّدَّ من تطورات. لقد ظهرت فى عصر كلاوديوس صراعات واحتياجات جديدة. ففى الماضى كانت حكومة الإمبراطور تعتمد على الإمبراطور ومساعديه، اما الآن مع كلاوديوس فقد اختلف الأمر، ذلك لإن عائلات جديدة انتقلت من تقليد الجمهورية وصارت أقل ارتباطاً بأفكار الجمهورية ومثالياتها، رغم ولاءهم لروما وتشربهم الثقافة الرومانية. ولقد وضح ذلك فى خطاب الإمبراطور حيث ترد فيه إشارة إلى انقراض عائلات نبيلة، وهى التى سبق واختارها الدكتاتور قيصر والإمبراطور أغسطس.

---

(1) Alindon, (1956), p. 131.

(٢) رغم هذا فإن التآمر ضد الأباطرة استمر فى هذا العصر أيضاً، ففى عام ٩٧ نجد "كالبور نيوس كراسوس فروجى ليسينانوس" مشارك فى مؤامرة ضد نيرفا. ونفس الشخص حُكم عليه بالنفى للتآمر فى عهد تراجانوس وأعدم فى عهد هادريانوس. إلا أن تلك المعارضة كانت قد ضعفت لأن السناتو كانت قد تغير ملامحه.Alindon, ibid, p. 130-131

(3) Scramuzza, op.cit. pp. 140 ff. تذكر م. سكراموزا تلك المستعمرات الكلودية خاصة فى الأقاليم الشرقية

فالخطاب إذاً يربط بين كرم الإمبراطور وسخاؤه فى منح المواطنة وبين حركة الاستعمار عبر البحار التى كانت وسيلة إلى جلب دماء جديدة[١] إلى طبقة الأشراف التى حُكم عليها بالانقراض – كسائر الجماعات التى تتصف تقريباً بالانعزالية –، من هنا يجب علينا قراءة سياسة كلاوديوس وفلسفته السياسية فى ضوء تلك المستجدات والتغييرات الاجتماعية وفى ضوء علاقة الأباطرة بالولايات، وبصفة خاصة مشكلة "تحضير" الإمبراطورية. أن تمدين ولايات الإمبراطورية على عهد خلفاء أغسطس يمثل مرحلة طبيعية من مراحل التطور فى الولايات. ولقد خطا كلاوديوس خطوات واسعة فى تلك العملية بتشجيع سياسة "التمدين" وصبغ تلك الولايات بالصبغة الرومانية، إذ أن سكان الولايات كان يروقهم ذلك المستوى العالى الذى بلغته الحياة المتحضرة من حيث اتصاله بنظام المدن – كما أنه كان سياسة مرسومة انتهجها الأباطرة، الذين شغفوا بتشجيع هذا التطور وصبغه بصبغة رسمية كى يقوى الأساس الذى يقوم عليه سلطانهم. أن دأب ونشاط كلاوديوس فى هذا الميدان لا يقل عن عمله فى النهوض بالبيروقراطية الإمبراطورية.[٢] ولا شك أن الأباطرة بتشجيعهم هذا التطور وصبغه بالصبغة الرومانية الرسمية كان العماد فيه على ذلك الجزء المتحضر من الإمبراطورية وقوامه سكان الحضر. وان أيسر سبيل هو السير فى الطريق الذى رسمته "حرب الحلفاء" وهو منح الجنسية الرومانية للعناصر الساكنة فى الحضر فى الإمبراطورية.[٣] تلك السياسة التى نادى بها قيصر[٤] وظلت محل للصراع وقت طويل فى السياسة الرومانية وهو صراع بين المحافظين على النظام الجمهورى القديم ممثلاً فى سيادة شعب روما ثم إيطاليا، وبين الداعين لإقامة الحكم المطلق المركزى والمحافظة على وحدة شعوب الإمبراطورية.[٥] ولا شك أن كلاوديوس كان معجباً بفكر قيصر بدليل أنه كتب كتاباً عنه.[٦] ولعله كان يأمل أن يكون خليفة ليوليوس قيصر[٧] الذى كان يرى أن نظام الجمهورية ديموقراطى من الناحية النظرية فقط، ولكنه فشل فى أن يوفر لروما حكومة مستقرة، بالإضافة إلى جهاز حكم الولايات الذى صار ملئ بالفساد والظلم والاستغلال. أن فكر كلاوديوس هذا فى رأينا يفسر تلك المعارضة القوية التى قامت فى وجهه، وقد وضح هذا فى خطاب الغال، حيث ذكر تاكيتوس تلك المناقشات

---

(1) Tac. Ann. Xi. 24.1; 24.3 : "Cum transpadani in civitatem recepti, cum specie deductarum per orbem terrae legionum additis provincialium validissimis fesso imperio subventum est".

عندما تم السماح بسبغ المواطنة بهذا الشكل، هدأت الإمبراطورية بإضافة أشجع الفرق العسكرية التابعة للولايات عبر العالم.

(٢) روستوفتزف، سبق ذكره، صـ١٣٠.

(٣) نفسه

(4) Cf. Suet. Div. Iul. 8, 9.3.

كان قيصر سخياً فى منح المواطنة لشعب الغال الساكنين شمال البو وذلك فى أوائل الستينيات، وكذلك منح فرقة كاملة حق المواطنة أثناء الحرب الأهلية (Suet. Div. Iul. 24.2).

(٥) راجع روستوفتزف، سبق ذكره، ص ص ٥١–٥٥؛ مصطفى عبد العليم، محاضرات فى تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ص ص ٨، ٩.

(٦) ناهد الحمصانى، "حقيقة مرض كلاوديوس"، صـ ٦٦.

(7) Levick, op. cit. p. 98; راجع فيما يلى حاشية رقم (٥)، ص ٢٠٥، ٢٠٦.

والمعارضة التى قامت فى السناتو، وقد أعربت المعارضة عن مخاوفها باستدعاء أحداث تلك المستعمرات وذكر تلك الشعوب التى تمردت عليهم فيما مضى. إلا أن تلك المعارضة من ناحية أخرى أكرهته – مع ما قد يكون فى هذا من معارضة لعقيدته القيصرية – على التمسك إلى حد ما بالتقاليد الموروثة عن أغسطس واتخاذ الحيطة بوجه خاص فى منح امتيازات الجنسية الرومانية.[١] ولعل هذا هو سر التناقض الداخلى لدى كلاوديوس والذى ظهر أمام معاصريه، وذلك من خلال محاولة فرض الفكرة المثالية الجديدة القائمة على الجمع بين فكرة الولاء للتراث الرومانى الجمهورى المتشدد الذى كان يعنى عدم المساواة فيما بين الأقاليم، وبين فكرة قيام الإمبراطورية على الفضائل الرومانية والطبقات الاجتماعية الجديدة التى تتجسد تلك الفضائل. وهكذا فإن كلاوديوس قدم للعالم إمبراطورية قامت على أساس جديد ومتناقض بأناس جدد. إذاً فالنزاع بين روما المدينة العالمية الإمبراطورية وبين مؤسسات روما الجمهورية هو الذى أوجد هذا الصراع بين فكر كلاوديوس الجديد والفكر السيناتورى القديم المتشدد[٢] (تلك المشكلة التى كانت وراء مقتل يوليوس قيصر). إلا أن تلك المعارضة من المواطنين الرومان والطبقات العليا لم تمنع كلاوديوس من سياسته فى النهوض بالحياة الحضرية فى داخل الإمبراطورية طالما بعيدة عن امتيازاتهم ورغبتهم فى السيطرة على شئون الدولة الرومانية. من هنا كانت سياسة كلاوديوس فى إنشاء المجالس البلدية Municpia ومنح أبناء الأقاليم حق التصويت الانتخابى،[٣] الانتخابى،[٣] فقد كان هذا يعزز وضعهم داخل بيئاتهم الأصلية. وكان هناك عامل آخر له وجاهته فى هذا الاتجاه وهو وهو الروابط التى تتعلق بالتبعية Clientela[٤] التى تجعل وجهاء الأقاليم يتبعون البرينكبس كلاوديوس". بالإضافة إلى العامل الاقتصادى وكانت له أهميته أيضاً، فالأقاليم التى كانت تملك ثقافة لاتينية وولاء لروما، وكان الاقتصاد يعتمد بشكل ما على تلك الأقاليم[٥]، كان ينبغى أن يكون لها بعض الشرف على يد كلاوديوس وهو ما ذكره فى خطابه أمام

---

(١) روستوفتزف، سبق ذكره، ص ١٣١.

(2) Levick, op.cit. p. 93.

(3) ILS. 206; Smallwood, Docs. 368; Levick, op. cit., p. 91.

منح كلاوديوس حق التصويت الانتخابى الرومانى عام ٤٦ إلى مجموعة قبائل تسكن بجوار الألب هم Anaunii وكذلك Sinduni و Tulliasses الذين كانوا على مدار سنوات يغتصبون مزاياها ومنها حق التعبئة فى كتائب الحرس البريتورى، واستمتع البارزين منهم بالخدمة فى محاكم المحلفين فى روما، وقد كان منحهم حق التصويت الانتخابى يعزز وضعهم خارج روما فى بيئاتهم الأصلية، وكثير من المستعمرات الكلودية فى إقليم ليكيا على سبيل المثال يدين بحق المواطنة إلى كلاوديوس.

(4) Levick, op. cit. loc.cit.

(5) Cf. Sherwin-white, The Roman Citizenship. Oxford, 1939, ch. VIII, pp. 181-193; Badian, Roman Imperializm in the Later Republic, Oxford, (1968), p. 51 ff.

لفت Badian الانتباه إلى إصرار آل جراكوس وورثتهم السياسيين أن يستغلوا الأراضى الجديدة لمصلحة شعب روما مثل تخصيص جزء من ثروة ملك برجام للجنة الأراضى التابعة للإصلاح الزراعى أو نظام الضريبة الزراعية الأسيوية الذى أدخله جايوس جراكوس، وكذلك استغلال قمح قورينى فى رفع معاناة شعب روما إبان السبعينيات أثناء المجاعة. ولقد كان لكلاوديوس أوقاف متسعة فيما وراء البحار من كمولودونم Comulodunum ببريطانيا إلى أرخيلاس Archelais فى كبادوكيا. راجع: Momigliano, op. cit., p. 64

السناتو. إذاً هناك اعتبارات سياسية واجتماعية واقتصادية وحضارية وجهت سياسية الإمبراطور نحو التغيير. أن ما فعله كلاوديوس مع تلك الأقاليم يشبه ما فعله المؤسس أغسطس للإيطاليين. إلا أن كلاوديوس فى سياسته هذه كان متأثراً بقيصر الزعيم الشعبى[١] وليس بأغسطس، ولقد أعاد كلاوديوس التقاليد الجريئة التابعة ليوليوس قيصر،[٢] ونجح كلاوديوس فيما فشل فيه قيصر الذى اغتالته يد المعارضة، ولا شك أن هذا كان ذكاء من كلاوديوس واتباعه سياسة حذرة مع الفكر السيناتورى القديم. لقد ارجع ليفيك Levick نجاح كلاوديوس فى سياسته هذه إلى ما كان يتمتع به من مرونة مع السناتو ومع رعيته ساعدته على التكيف مع المستجدات، خاصة صفة "الرحمة" Clementia التى تحدثت عنها المصادر،[٣] فلقد كانت رقته بالغة مع السناتو إلى الحد الذى أخفت معه تلك الحدة التى اتصف بها موقفه مع أعدائه السيناتوريين. أن تلك السياسة التى اتبعها كلاوديوس لم يكن أحد يجرؤ على اتخاذها على مدار جيلين بعد معركة اكتيوم ولا حتى أغسطس فعلها. لقد كان منح المواطنة إلى الإيطاليين وإلى رجال حاربوا من أجل روما له تاريخ طويل، وقد تزعم المناداة بذلك قادة من الزعماء الشعبيين أمثال فولفيوس فلاكوس (عام ١٢٦ ق.م) وجايوس جراكوس (عام ١٢٣) وليفيوس دروسوس (عام ٩١) والقائد ماريوس والزعيم ساتورنينوس، وكذلك سولبيسيوس روفوس وآخرين، وكان يتم أحياناً الحصول عليه فى ميدان القتال حين كان صخب الجند وضجيجهم يعلو فوق صوت القانون والدستور.[٤] أما الآن فى عهد كلاوديوس كان الإغداق بالمواطنة وهذا الكرم بلسان الإمبراطور ويتم أمام السناتو أى

---

(1) Levick, op.cit. p. 96. & n. 51.

يعدد Levick أوجه الشبه بين قيصر وكلاوديوس، حيث ١- أن كلاوديوس اعتلى السلطة شأنه شأن قيصر بمساعدة الجند وضد رغبة السناتو، ٢- أدرج كلاوديوس اسمه بين الإسمين قيصر وأوغسطس والاسم التشريفى الموروث له "جرمانيكوس" وكان لاتخاذه لقب قيصر مدلول سياسى. ٣- ربط (Levick. P. 98) بين سياسة كلاوديوس ورغبته فى إدخال رجال من غاله كوماتا إلى السناتو بما فعله قيصر مع غاله النربونية نظراً لولاء تلك المقاطعات لروما. ٤- استأنف كلاوديوس سياسة قيصر فى إقامة المستعمرات والإغداق بالمواطنة الرومانية وقد كان توسعياً يشبه قيصر فقد ضم ليكيا وموريتانيا ونجح فى ضم بريطانيا التى كان قيصر يعتزم غزوها ولم يفعل (Suet. 21.1).

(2) Wells. J. & Barrow, R.H., A Short History of the Roman Empire, London, 1935, p. 91 f.

يظهر فى هذا الكتاب الرأى الذى يثبت أن كلاوديوس هو الوريث ليوليوس قيصر.

(3) Levick, op. cit. p. 97.

لقد تفاخر كلاوديوس نفسه بصفة الرحمة، خاصة مع جهوده فى التغلب على إحساسه بالمرارة إزاء رفض السناتو قبوله كبرينكبس فى بداية توليه الحكم (Suet. Claud. 11.4; Dio. 60.3 ff.) كذلك ظهر الإحساس بهذه الصفة عندما رأى ميناء أوستيا يقترب من الاكتمال (Suet. Claud. 20.1). بل إن سنيكا نفسه أقر تلك الصفة لكلاوديوس (Seneca, Ad. Poly. 6.5) فاختارها على إنها فضيلته الأولى "ex virtutibus eius primum optinent locum" وإذا كان سنيكا هو نفسه الذى ذكر أن كلاوديوس شن هجمة شرسة على السناتو، فإننا نفهم أن ذكر سنيكا هذه المزية كان من منطلق دافع داخلى أضمره حيث كان فى المنفى ويأمل إذا تحدث بذلك فسوف يرحب كلاوديوس وهذا بلا شك دليل على تناقض سنيكا!

(٤) ناهد الحمصانى، ت: الرومان، ص ص ٥٠-٥٢.

بشكل دستورى،[١] وهذا هو الجديد ويحسب لكلاوديوس. لقد أدرك كلاوديوس أن مبدأ منح حق المواطنة لمن حاربوا من أجل روما يعبر عن مرحلة جديدة. ولقد كان هذا بداية لتحول إدارة الإمبراطورية بالتدريج من أيدى الأرستقراطيين الرومان، لا إلى أيدى الإيطاليين فحسب – كما فعل أغسطس – ولكن إلى سكان الأقاليم من ذوى الكفاءة والذكاء والمعرفة. إذاً فكلاوديوس بمنحه المواطنة لرعايا روما لم يكن ينفذ إلا مبدأً قديماً كان عليه أن يسير إلى نهاية مساره المنطقى[٢].

أضف إلى ذلك أمر مهم يتعلق بشخصية الإمبراطور كلاوديوس نفسه وفكره المتجدد، فلقد كان منح حق المواطنة لرعايا روما المحرومين منها جزءً لا يتجزأ من برنامج الزعيم الشعبى – كما سبق الذكر–. وإذا كانت كلمة Popularis تعنى رجل السياسة الذى يسعى إلى مساندة شعبية بتنفيذ الإجراءات التى تصب فى منافع الشعب وهى نفسها تصب فى منفعته هو الخاصة، فإن كلاوديوس بهذا المفهوم كان حقاً زعيماً شعبياً. لقد كان كلاوديوس شأنه شأن غيره من الأباطرة يملك سلطان الإمبيريوم القنصلى، إلا أنه عادة حين كانت هناك أمور مهمة تشغله ويريد أن يناقشها داخل مجلس السناتو فإنه كان يتخذ مقعد التريبونية [٣]. وكان لاختياره مقعد التريبونية دلالته، فهو يشير إلى تفضيل كلاوديوس لسلطة التريبون المدافع عن حقوق العامة. وفى الواقع أن هناك كثير من الدلائل ما يبرهن على أن كلاوديوس كان زعيماً شعبياً، فقد حرص على أن يقدم تلك الخدمات الحيوية التى تهم العامة[٤]وعلى رأسها توفير الخبز المجانى. أن توزيع Frumentationes من خلال الإدارة المالية للإمبراطور أو الخزانة الإمبراطورية Fiscus بدلاً من توزيعها بواسطة خزانة السناتو الأهلية Aerarium فيه إشارة صريحة بأن توزيع القمح المجانى صار كرماً وسماحة نفس من شخص الإمبراطور، وبالتالى هذا يحقق للإمبراطور امتيازين:

أحدهما شعبية عامة والآخر سياسة مركزية من خلال ممارسة الإمبراطور هيمنة على تجارة القمح. ولا شك أن تلك كانت سياسة مركزية لسلطة الإمبراطور أُتبعت فى كل مجال يخص هذا العمل. فلقد ارتبط بهذا الإجراء الخاص بالإعانة الحكومية إجراءات أخرى تتعلق باستيراد القمح وتوفيره. خاصة أن كلاوديوس تولى العرش فى يناير عام ٤١ فى موسم جفاف وخسائر مادية لمستوردى القمح، بسبب عاصفة بحرية[٥]. ولم ينتظر كلاوديوس طويلاً حتى عرض

---

(1) Tac. Ann. XI.24.1; ILS. 212; Smallwood, Docs. 369.
راجع خطاب الإمبراطور فيما سبق ص ١٧٣ وما يليها، راجع حاشية رقم (٢)، ٢٠٣.

(2) Sherwin-White, op.cit., p. 237 ff. esp. 245.

(3) Suet. Claud. 23.2; Dio.60.16.4.

(٤) عن اهتمام كلاوديوس بأنشطة ألعاب السيرك وإحياء العروض القديمة راجع : (Suet Claud. 21; Dio.60.7.3; 25.8; 33.3 f.) كذلك عن اهتمام كلاوديوس بشق القنوات المائية واستعادة القنوات القديمة راجع :(Suet Claud. 20.1 f.; Tac. Ann.XI.13.2.)

(5) Suet. Claud. 18.
يذكر سويتونيوس أن أحد العامة استاء من الإمبراطور بسبب الجفاف فاستوقفه وأمطره بالشتيمة ورشقة بقطع من الخبز، حتى أنه بالكاد استطاع الفرار إلى قصره. وبعد هذا الحادث حرص كلاوديوس على جلب الحبوب إلى روما حتى فى موسم الشتاء.

مشروعه الضخم الخاص بتوسيع ميناء أوستيا وبناء مرفأ صناعى[١]، ذلك العمل الذى خطط له قيصر وأكمله نيرون، وأعاد تراجانوس بناءه.[٢] ولقد اتخذ كلاوديوس كثير من الإجراءات من أجل ضمان توفير القمح، وكانت تلك الإجراءات شبيهة بما فعله الإمبراطور أغسطس عام ٢٢ من أجل توفير القمح، وإنقاذ العامة من المجاعة التى لاحت فى الأفق. وقد كان من ضمن الإجراءات التى اتخذها كلاوديوس تقديم التأمين المجانى لأصحاب وسائل نقل الحبوب ومنح المواطنة للأجانب إذا قاموا بإنشاء سفن جديدة. [٣] كذلك تلك التغييرات الإدارية التى سبق ذكرها مثل إحلال وظيفة بروكوراتور ميناء أوستيا محل كوايستور أوستيا، كذلك انتقال منحة الحكومة الخاصة بالقمح المجانى Frumentationes إلى إدارة الإمبراطور المالية Fiscus فانتقلت من السيطرة السيناتورية Praefectus Frumenti dandi إلى موظف من درجة الفرسان من اختياره هو مسئول عن الغلال Praefectus Annonae[٤]. أن تلك الإجراءات التى اتخذها كلاوديوس لا تدل فقط على رغبته فى اتباع سياسة مركزية، وإنما تدل أيضاً على ما يتمتع به الإمبراطور من نشاط وحيوية وحرصه على الكفاءة فى العمل والتركيز على فاعلية الأداء. كذلك تدل على حرصه على أن يظهر كإمبراطور شعبى.

ومن ثم فإنه يمكن استنتاج مما سبق أن سياسة كلاوديوس فى منح المواطنة لرعايا روما المحرومين منها، يمكن النظر إليها فى إطار عقيدته القيصرية من ناحية، وسلطته المركزية الإدارية التى تسعى إلى كفاءة الأداء من ناحية ثانية، وكذلك باعتبارها جزء لا يتجزأ من برنامج الزعيم الشعبى من ناحية ثالثة. وكلاوديوس بالفعل كان إمبراطوراً يتمتع بشعبية لم يسبقه أحد من الأباطرة فى تلك المكانة – حتى أغسطس نفسه – وكانت شعبيته مثل أخيه جرمانيكوس وكان الناس يقدمون الاحترام له قبل تقلده للعرش، وكان يتنزه معهم ويتبادل النكات حتى بعد أن صار إمبراطور.[٥]

أن اهتمام كلاوديوس بمشاريع العامة جعلت المؤرخين يرون أن كلاوديوس كان يستند فى حكمه على زعامة شعبية،[٦] ورغم صحة هذا القول إلا أننا لابد أن نشير أن مصدر التأييد الفعال الصادق لكلاوديوس كان يتمثل فى تأييد

---

(1) Ostia: Tac. Ann. XI.26.7; Dio.61. 31.4; Suet. Claud. 20, 24; Smallwood. Docs. 312 (b); Momigliano, op.cit. p.108 n. 23; Scramuzza, op.cit. p.118, p. 165 ff.

(٢) روستوفتزف، سبق ذكره، ص ٢٢٥.

(3) Dio. 60. 11. 3; Suet. Claud. 18 f.; Scramuzza, op. cit. p. 118, 167 ff.
كان من بين الإجراءات أيضاً إقامة قوة أمنية وشرطة إطفاء لحماية الحبوب الواردة وتخزينها.

(4) Levick. op.cit., p. 88؛ روستوفتزف، سبق ذكره، ص ص ١٢٥-١٢٧

(٥) عن شعبية كلاوديوس وروح الصداقة عنده راجع: Suet. Claud. 6; 12.3; 18; 21.4 f.; Dio. 60.13.5.

(6) Levick. op. cit. p. 89, p. 94-95.
يرى Levick أن زعامة كلاوديوس ترتكن بشكل أساسى على الجند، لأن العصر الشيشرونى الذى كان كلاوديوس يدين له بالإعجاب كان الرجل فيه يستند إلى الجيش (مثل قيصر وبومبى). ويناقش أيضاً مغزى توسيع كلاوديوس للـ Pomerium وهو حدود روما المقدسة

تأييد الجند له، فهو لم ينسى قط أنه يدين فى تقلده العرش للحرس البريتورى، وقد ظهرت هذه الحقيقة على عمليتين معدنيتين مشهورتين تستدعى إلى الذاكرة أحداث عام ٤١ وتحمل عبارة.

Imper (ator) recept (us) praetor (iani) recept (i).

وتظهر إشارة لثكنات الحرس وصورة الإمبراطور وهو يصافح أحد الحراس البريتوريين. وبغض النظر عن مسألة تأييد الجند له فى توليه السلطة، فإن كلاوديوس بوصفه ينتمى إلى الأسرة اليوليوكلودية فلابد وأنه استفاد من ذلك التقليد الموروث منذ عهد أغسطس، وهو ولاء الجند لبيت القيصر، تلك الدعامة العسكرية التى أرساها الإمبراطور أغسطس منذ أن وضع دعائم أركان حكم البرينكبس. ولقد كسب كلاوديوس مكانة الجنرال المنتصر خلال السنوات الأولى من حكمه عن طريق فتح موريتانيا وبريطانيا، وقد ساعدت هذه المكانة على تعزيز ارتباطه بالجيش وانتماء الجند له. وقد نودى باسمه امبراطوراً ٢٧ مرة[1]. ولا شك أن هذا لم يكن انطلاقاً من حب المغامرة العسكرية، وإنما استجابة لاحتياجات الإمبراطورية الحيوية، مما يضاف إلى إنجازات هذا الإمبراطور. وبناء على تلك الأدلة السابقة، فإن كلاوديوس استند فى زعامته على سلطتين، زعامة شعبية وتأييد الجيش له، وهو ما استند إليه الإمبراطور أغسطس أيضاً فى حكمه.

خلاصة القول، بهذا التفسير السابق ذكره، وفى ضوء قراءة دوافع كلاوديوس نحو التغيير – وفقاً لمجريات الأمور ولظروف العصر – يمكن فهم سياسة الإمبراطور المركزية وإدارته البيروقراطية، لا كما يردد ناقدوه تلك المقولة الشائعة أنه كان يهدف إلى إقامة إدارة بيروقراطية يديرها عبيده المُحَرَّرين وأهالى الأقاليم من أجل تجريد مجلس السناتو من سلطاته. لقد كان أمام كلاوديوس واقع جديد كان عليه أن يقابله بفكر تقدمى، ومن خلال دراساته التاريخية وخبرته كان عليه أن يعمل فى إطار مفهوم الزعامة التى أسسها أغسطس ووضع دعائمها وسلطاتها، والبناء على هذا الأساس الأوغسطى وتطويره. ولا ننسى أن نظام الزعامة فى عهد كلاوديوس كان فى حاجة إلى نجاح بارز يرفعه من سوء السمعة التى لحقت به فى عهد كاليجولا، حيث حدثت رده لهذا النظام. أن استقلالية الإمبراطور الفكرية التى تصل إلى حد الذكاء جعلته يتحدى أراء مخالفيه ومعارضيه، ويختار ما يزيد إدارته فعالية أو أفكار تقدمية حتى لو اختار مستشارين مناسبين له من عبيده المُحَرَّرين. ولا شك أن كلاوديوس فى سعيه إلى إقامة الوحدة مع الأقاليم حرص على القضاء على إحساسهم بالدونية إزاء إيطاليا[2].

والوصول إلى تل الأفنيين إلى ذلك التل الذى كان ملاذ العامة التقليدى فى عصر الجمهورية، وهل ما فعله كلاوديوس كان يتبنى سياسات الزعماء الشعبيين فى إصرارهم على مشاركة الجماهير فى الحياة السياسية داخل روما أم أن توسيع الحد كان قبيل الاتفاق العارض؟ والمؤلف يميل إلى الأمر الثانى لأن الفترة التى سبقت كلاوديوس أى العصر الشيشرونى ذروة الزعامة الشعبية تعتمد على زعامة الجيش وليس زعامة شعبية.

(1) Suet. Claud. 12.1.

(2) Momigliano, op.cit. P. 63 f.

ولقد فسر موميليانو[١] سياسة كلاوديوس هذه أنه كان مضطر إلى الانجذاب للأقاليم من أجل اتخاذ إجراء ضد الطبقات التى تحظى بالامتيازات ولمراجعة هيمنة الأسر الإيطالية داخل الجيش. وسواء كان موميليانو مبالغا فى رأيه هذا أم لا، فإن تلك الإجراءات التى اتخذها كلاوديوس كانت بلا شك إرهاصات لما يتلوها من تطور لاحق. أن ما أقدم عليه كلاوديوس من تغيير مهد الطريق لما حدث فى عهد الفلافيين(Flavians) والانطونينيين (Antonines)[٢].

ومن ثم فأن من ثمار أعمال كلاوديوس كان سن السوابق والقيام بالخطوات الحاسمة التى بنى عليها تطور البيروقراطية فى العصور التالية. وقد يتساءل المرء لماذا لم يوجه النقد إلى فسباسيانوس مثلاً، الذى وُصف أنه مؤسس الإمبراطورية الثانية. وهو الرجل الذى تعاطف مع الولايات الغربية اللاتينية، وكان موقفه مع السناتو واضحاً وملأ المجلس بأعضاء جدد من شيوخ الارستقراطية الناشئة فى الأقاليم والولايات الغربية حتى لا يكون المجلس حكراً على روما. وأعلنها صراحة أن السناتو مستودعاً للخبرة والقدرات ولكنه ليس شريكاً فى الحكم[٣]. وكان دليل نجاح فسباسيانوس فى سياسته تولى أباطرة القرن الثانى الانطونينيين – وهم من الطبقات المستنيرة – من ولايات الإمبراطورية الغربية وكان ذلك نصر لتلك الطبقات المتعلمة فى تلك الولايات؟!

يرى موميليانو أن نظرة كلاوديوس نحو كثرة المستعمرات ليس فقط من أجل تعميق الشخصية الرومانية للأقاليم التى تم صبغها بالصبغة الرومانية وإنما صبع الأقاليم الأكثر تخلفاً. والأهم من ذلك كان الهدف العسكرى وهو حراسة تلك المستعمرات أى أن المستعمرات كان لها إلى حد ما وظيفة سياسية وعسكرية فى تلك المناطق لوحدة الإمبراطورية. ومن هنا كان إقامة المجالس البلدية Municipia ليس كما كان من قبل داخل إيطاليا أو فى المستعمرات الواقعة على حدود إيطاليا وإنما أيضاً فى مجتمعات الغال والأعجب أن نجد درجة Municipium تُمنح لـ قولوبيليس داخل موريتانيا القيصرية رغم كونها واحدة من أكثر الأقاليم فى الإمبراطورية تخلفاً نظراً لحداثة فتحها. وهناك فكرة أخرى مثالية ترى أن كلاوديوس سعى إلى تخطى الحواجز بين الفاتحين والمهزومين من أجل توحد المجتمع الرومانى وتلاشى أى تمييز بين الطبقات خاصة وأن عبيده المحررين كان لهم أصول متباينة لأن كل طبقة ستتقاسم مع غيرها خضوع الرعايا للإمبراطور الحاكم الفرد. ويقارنون هذا بفكر الإسكندر وما يعرف بالعالمية Cosmopolitanism أو الملكية الشرقية، فسيد الإمبراطورية الرومانية كان مثل الملوك الهلينستيين طاغية ذا طابع عسكرى يعتمد نفوذه على الجيش (راجع Momigliano, loc.cit. ؛ روستوفتزف، ص ١٣٢). وفى رأينا أن هذا الرأى قد جاوز الصواب لأنه يردد فكرة سنيكا الذى انتقد كلاوديوس الذى أراد أن يرى شعوب الإمبراطورية جميعها "بالتوجا" الرومانية. فى حين أن كلاوديوس لم يكن الإسكندر الأكبر مثلاً أعلى له وقد رفض فكرة تأليهه، وهى أساسية فى الفكر الشرقى فى الحكم القائم على تأليه الحاكم. كما أن القول بأن هذا من تأثير عبيده المُحَرَّرين فإن هذا مستبعد أيضاً لأن مسألة وجودهم معه فى القصر كان لا يرقى إلى تمثيل مصلحة الولايات التى جاءوا منها. وهو ما يذكره موميليانو نفسه! فكيف يرى إذاً أن كلاوديوس سعى إلى فكرة تخطى الحواجز بين الفاتحين والمهزومين فى البلاد المفتوحة!

(1) Momigliano, op.cit., loc. cit.

(2) Idem. p. 24.

(3) Cf. Suet. Vespasianus, 1, 5.;

سيد الناصرى، سبق ذكره، ص٢١٠؛ ناهد الحمصانى، ت: الرومان، صـ ٢٥٦ وما يليها. حدث هذا فى وجه بريسكوس والمتعاطفين معه من الرواقيين والذين طالبوه بالإذعان للسناتو لأنه بيت الخبرة.

أن الإجابة على هذا السؤال – فى رأينا – تكمن فيما سبق وذكرناه من تهم عديدة لُصقت بكلاوديوس كان وراءها ذلك العداء السياسى السيناتورى لكلاوديوس وحكومته. أن الأفكار التقدمية التى شهدها عهده لم يتقبلها مؤرخو عصره خاصة أن هذا التحول وهذه النقلة التى حدثت فى عهده كانت سريعة بين عصر جايوس أو حتى تيبريوس وعصر كلاوديوس،(١) على عكس ما حدث مع الفلافيين فقد جاءت خطوة التغيير أكثر تدرجاً، أضف إلى هذا، الظروف الخطرة التى وصل فيها فسباسيانوس إلى السلطة أعنى الحرب الأهلية ٦٨-٦٩، فكان إجماع الآراء عليه يشبه ما حدث مع أوقتافيوس بعد أكتيوم.

ختاماً إن مؤرخى عصر كلاوديوس لم يعترفوا له بنبل الأخلاق أو قوة الشخصية، لم يلتفتوا إلى ثقافته وكتبه والأفكار التقدمية التى كونها عبر سنوات عمره قبل توليه العرش عن مفهوم الزعامة، بل اعتبروا فترة شبابه عقيمة، لم يلتفتوا إلى إرادته وتغلبه على مرضه وضعفه الجسدى، ومحاولاته أن يشارك فى العمل العام وفى السياسة فى عهد تيبريوس.(٢) لم يلتفتوا إلى إنجازاته الإنسانية التى كانت لصالح العامة(٣). كل هذا تم تجاهله وتركزت أنظارهم على أخطائه المتمثلة فى بساطته الشديدة وشهيته للطعام ولعبه للنرد(٤) وإطنابه فى الكلام وهو يخاطب مجلس السناتو واتهامه بالحذلقة(٥). كذلك ركزوا أنظارهم على أخطاء حكومته وفضائح نساءه ومنحه صلاحيات لعبيده المُحَرَّرين(٦) وانشغاله فى المحاكم، واعتبروا نشاطه القضائى غير العادى كأحد سلوكياته الغريبة(٧)، رغم أنه كان فى فى الحقيقة أحد الجوانب الأساسية لسياسته المركزية.

---

(١) لعل كلاوديوس راقب الحركة البطيئة لحكومة تيبريوس (Suet. Tib. 21-2) والحذر الشديد لأغسطس (Suet. Dav. Aug. 25.4) وأن كلاهما اتخذ شعاراً هو "أسرع بهدوء" (Festina Lente). بينما كلاوديوس كان لديه الاستعجال نحو التغيير.

(٢) ناهد الحمصانى، "حقيقة مرض كلاوديوس"، ص٦٩.

(3) Cf. Suet. Claud. 12; 18; 20; 21; 22.

(٤) ناهد الحمصانى، "حقيقة مرض كلاوديوس"، ص٦٢ حاشية رقم(٣) ورقم (٤).

(٥) اتهام كلاوديوس بالحذلقة وإظهار سعة المعرفة جاء من خلال نبرة النُصح من خلال قراراته العديدة (مثل نُصحه باستعمال عصير الطقسوس (شجر دائم الخضرة له بذور قرمزية) كدواء لعضة الثعبان (Suet. Claud. 16.4)، ورغبته فى إضافة ثلاث حروف هجائية للأبجدية اللاتينية (Tac. Ann. XI. 13, 14.). وكذلك خطابه إلى السيناتور المفتقرين إلى الثقة بالنفس كما فى بردى برلين (BGU. 611; (Smallwood. Docs. 367.)، وخطابه إلى السناتو المُعاند لدخول الغال المجلس فى لوحة ليون (ILS. 212; Smallwood. Docs. 369; Tac. Ann. XI. 24). إلا أن كل من سيم (Syme, op.cit p. 436.) وسمولوود (Op.cit. loc.cit) يرى أن كلاوديوس كان يتمتع بأسلوب خاص.

(6) Suet. Claud. 28; 29.1.

(7) Suet. Claud; 15; 16; 23; 41.

أن رفضه فى ذلك الخطاب الموجه لشعب الإسكندرية[١] لمطلب السكندريين الخاص باستعادة مجلسهم الـ Boule العزيز عليهم،[٢] – وهو الذى كانوا يتمتعون بوجوده فى زمن البطالمة وتم إلغاءه فى عهد ملك من ملوك البطالمة الأواخر – لدليل على سياسته المركزية التى يتعارض معها بالطبع وجود مجلس البولى، تلك الهيئة السياسية التى تشكل حكم ذاتى للإسكندريين. فقد كان يدرك مدى خطر إعادة تنظيم ذلك الكيان السياسى الديموقراطى المهم الذى كان يشكل نواة لما يمكن أن نسميه بالعصبية السكندرية المعادية للرومان.

لقد كان كلاوديوس فى رده على مطلبهم دبلوماسياً رائعاً[٣] "**أما عن المجلس الذى كان مألوفاً فى عهد ملوككم القدماء فلا علم لى به (أو ليس لدى ما أقوله)، لكن تعلمون جيداً أنه لم يكن لديكم مجلساً فى عهود من سبقونى من الأباطرة. وبما أن هذا المقترح جديد يثار الآن، وليس من الواضح ما إذا كان ذا نفع للمدينة (الإسكندرية) وحكومتى، فقد كتبت إلى إيميليوس ركتوس (الوالى) ليبحث الأمر ويخبرنى عما إذا كان من الضرورى إنشاؤه أصلاً، وكيف ستكون طريقة إنشائه إذا تبين أنه ضرورياً**".

أما رده على اليهود – فى نفس الخطاب– الذين كانوا يطالبون بالتمتع بحق المواطنة السكندرية، فقد جاء ليقضى على مزاعم المؤرخ اليهودى يوسيفوس[٤] الذى أراد أن يلوى ذراع الحقيقة لصالح بنى جنسه ويوهم أن صداقة

---

(1) P. Lond. 1912; Smallwood, Docs. 370; Jones, H.S. "Claudius and the Jewish question at Alexandria", JRS. 16 (1926), pp. 17-35;

إبراهيم نصحى، مصر فى عصر البطالمة، ج ٢، ص ٣٢٤–٣٢٥؛ عبد اللطيف أحمد على، مصر الرومانية فى ضوء الأوراق البردية، ص ص ١٠١ – ١٠٩؛ ناهد الحمصانى، ت. الرومان، ص ٢٣٨–٢٤٠.

(٢) أرسل الإسكندريون واليهود وفدين إلى الإمبراطور لتهنئته بجلوسه على العرش والاعتذار عن الاضطرابات الأخيرة التى حدثت فى عهد كاليجولا وبعد وفاته. وتقدموا بعدة مطالب. كان أهم مطلب للإسكندريين هو إنشاء مجلس الشورى "البولى" أما اليهود فقد طالبوا بحقوق المواطنة السكندرية كاملة. وقد قدموا أنفسهم إلى الإمبراطور ببعثتين، بعثة تمثل الطائفة المتحررة المتأثرة بالثقافة اليونانية وعلى رأسها فيلون وبعثه تمثل الطائفة المحافظة على التقاليد الموساوية، Jones, op.cit., p. 25, p. 31.

(٣) رد الإمبراطور على مطلب السكندريين بشأن مجلس البولى والذى ورد فى نص البحث مقتبس عن الترجمة العربية لنص الخطاب الواردة فى كتاب د. عبد اللطيف أحمد على، السابق ذكره، ص ص ١٠٦–١٠٧.

(4) Joseph. Bell. Jud. 11, 18, 7; A J. XII, 3, 1

طالما ذكر يوسيفوس فى كتبه هذا الزعم، راجع كذلك المرسومين الذى ذكرهما ونسبهما إلى كلاوديوس:

Joseph. AJ. XIX. 280-285; 287-291; Charles Worth. Docs. No. 14-15; Jones, op.cit. p. 24.

(أراد يوسيفوس فى المرسومين أن يبرهن أن كلاوديوس كان أكثر تسامحاً مع اليهود من سلفه جايوس فلقد أقر فى أحد المنشورين ليهود الإسكندرية الحقوق الذين كانوا يتمتعون بها قبل كاليجولا، ومنح فى المرسوم الآخر الحقوق نفسها لجاليتهم فى جميع أنحاء الإمبراطورية).

الإمبراطور كلاوديوس لزعماء اليهود – هيرود وأجريبا[١] – كانت سبباً فى منحه لليهود حقوق المواطنة. لقد أقر كلاوديوس لليهود امتيازاتهم وتمتعهم بحقوقهم الدينية التى كانت لهم منذ عهد أغسطس، ولكنه رفض بشدة ادعائهم بحق المواطنة فى مدينة ليست مدينتهم εν αλλοτρια πολει.

أن من يقرأ هذا الخطاب المهم الذى أحدث دوى عظيم فى الأوساط العلمية[٢]. يلاحظ كيف كان رد الإمبراطور موجه إلى الشعبين السكندرى واليهودى بقرارات صارمة وحازمة بصيغة الأوامر والنهى وخاصة للجالية اليهودية[٣]، ويتعجب كيف يتهمه تاكتيوس وسويتونيوس بعدم اللباقة الكلامية وعدم إدركه بما يناسب وضعه كبرينكبس[٤] أن الخطاب جاء ليبرهن على أن كلاوديوس لم يكن بالرجل المتحزب لطائفة أو فريقاً – حتى لو كانوا أصدقاء له – فصالح الإمبراطورية وسلامتها يأتى فوق كل اعتبار. أن الخطاب يبرهن على سياسة الإمبراطور الدينية إزاء اليهود – أو الديانات الأخرى المختلفة عن الديانة الرومانية – فهو يؤمن – كما آمن أغسطس من قبل – أن اليهودية إرث دينى يحترم، ولكنها إذا صارت عنصراً عدوانياً فى المجتمع أو سبباً فى إحداث الفتن الداخلية المهددة للسلام الرومانى فإنها لا تلقى التسامح نفسه. أليس هذا دليلا على أن كلاوديوس لم يخرج عن سياسة أغسطس؟ وأن كلاوديوس أدرك القيمة الكامنة فى التسامح والترحيب بالمعتقدات الدينية المختلفة عن الديانة الرومانية، فإذا تحولت إلى خطر يهدد استقرار الإمبراطورية فإنه لابد من الوقوف أمامها بشدة. لقد وصل حزم الإمبراطور مع اليهود إلى

---

(١) كان من دواعى محاباة الرومان لليهود أمران ١– القدرة المالية خاصة فى مصر، فقد أقيم مكتب المراقب المالى لحساب الضرائب الجمركية "Arabarch" وتولاه اليهودى تيبريوس يوليوس اسكندر، ٢– إن عدد من نسل ذرية هيرود تربوا فى روما مع الأمراء الإمبراطوريين. وكان أجريبا الوالد (١٠ ق.م – ٤٤م) وأجريبا الإبن (٢٧م – ١٠٠م) أصدقاء لكاليجولا وكلوديوس ونيرون ولهم نفوذ فى البلاط. (وقد انضم أجريبا الإبن إلى الرومان فى حصار تيتوس لأورشليم عام ٧٠): Cf. Jones op.cit. p. 22 راجع: عبد اللطيف أحمد على، مرجع سبق ذكره، ص ١٨٩.

(٢) راجع أسماء الناشرين لهذا الخطاب فى كتاب عبد اللطيف أحمد على، المرجع نفسه، صـ١٠١ وما يليها. خاصة ص ١٠٣، حاشية رقم٢.

(3) Cf. Jones op. cit. pp. 25-26.

يذكر جونز صيغة الخطاب على النحو التالى: أ) على أهل الإسكندرية أن يعيشوا فى وئام مع اليهود الذين لطالما سكنوا معهم فى نفس المدينة وأن يكفلوا لهم حرية العبادة التى سبق أن كفلها لهم أغسطس وهى الآن مؤكدة. ب) يجب على اليهود الاكتفاء صراحة.(I) بما يتمتعون به من امتيازات موجودة لهم، وألا يسعوا فى أى توسع من اللحظة هذه فصاعداً. (II) يجب عليهم ألا يرسلوا مندوبين لهم مستقبلاً كأنهم يعيشون فى مدينتين – وهذا لم يحدث من قبل قط. (III) وعليهم ألا يقحموا أنفسهم فى المباريات الرياضية التى ينظمها رؤساء الجمنازيايوم والكوزميتيس أو المنافسات التصويتية (لمناصب الجمنازيارخوس والكوزميتيس). كما يجب بدلاً من النزاع أن يستمتعوا بالسلم والهدوء والخير الوفير فى مدينة ليست مدينتهم. (IV) ومحظور عليهم استدعاء أى عناصر يهودية من سوريا أو من مصر داخل الإسكندرية فهذا مسلك يثير شكوك الإمبراطور حولهم. وإن لم يمتثلوا لهذه الأوامر فسوف يعاقبهم بوصفهم أشخاص يثيرون – فتنة – وباءاً عاماً للعالم كله".

(4) Suet. Claud. 40.1, 3; Tac. Ann. XI. 28.

توجيه إنذار لهم بالطرد من روما عام ٤٩ بسبب ما أثاروه من شغب.[١] هذا النهج الأوغسطى نلمحه فى أكثر من ملمح، وذكره كلاوديوس نفسه فى خطابه فى السناتو الخاص بدخول الغال، أنه لم يخرج عن سياسة أجداده وأسلافه. إضافة إلى هذا فإن خطابه إلى السكندريين المهم يوضح أيضاً شخصية الإمبراطور كلاوديوس القاضى الذى يتمتع بحس صائب وكثير من الحصافة، فقد جاء رده بعد نحو ٦ أشهر[*] بعد دراسة متأنية للقضية التى طالما كانت موضع نزاع بين الإسكندريين واليهود[٢] وبعد تحقيق واستماع الإمبراطور للطرفين المتنافرين – وقد ذُكر هذا فى الخطاب – رغم انشغاله بمشاكله مع المعارضة السيناتورية فى بداية حكمه. إلا أن رده جاء كدليل دامغ على ما كان يتمتع به من ثقافة وحكمة وعلم ببواطن الأمور وتقديره التام للأحوال السائدة وهذا كله يوضح أن سنيكا لم يكن عادلاً أبداً فى حكمه على كلاوديوس حين اتهمه بأن العالم لم يشهد مثله رجلاً متسرعاً فى إصدار الحكم على القضايا المعقدة [٣].

"Deflete virum, quo non alius potuit citius discere causas, una tantum parte audita, saepe nec utra".

كذلك فإن الخطاب ينفى تماماً تلك الصورة الساخرة التى رسمها سويتونيوس[٤] لكلاوديوس فى المحاكم.

إن بحثنا ليس هو تناول شخصية كلاوديوس من خلال الوثائق، ولكنى ذكرت هذا الخطاب الخاص بالإسكندرية فى عجالة كدليل وثائقى مهم يوضح عدم دقة المصادر الأدبية فى ذكر الحقيقة. وأنه من العسير أن نفهم كيف يكون هذا الرجل هو الذى تصفه المصادر الأدبية بالحمق والغفلة[٥].

---

(1) Suet. Claud. 24.4; Dio. 60.6.6.

يذكر ديو أن كلاوديوس لم يطردهم، وإنما حظر عليهم فقط عدم الاجتماع وإثارة الشغب.

(*) خطاب الإمبراطور سبقه مرسوم صادر من إيميليوس ريكتوس A. Rectus حاكم ولاية مصر مؤرخ بـ ١٠ نوفمبر من عام ٤١. وفحوى المرسوم يُعلن على شعب الإسكندرية الحضور لقراءة عليهم رسالة كلاوديوس ويبدى فيه امتنانه لما يحمله الإمبراطور للمدينة من نية طيبة وفخر. ثم تأتى رسالة كلاوديوس وهى رد على خطاب التهنئة الذى جاءه مع بعض الالتماسات من وفدى مدينة الإسكندرية – وفد اليهود (ببعثتين) ووفد الإسكندريين والـ ٦ أشهر هى الفترة بين تسلم الإمبراطور خطاب التهنئة والذى لا يتوقع أن يكون تأخر عن شهر مارس حيث إن الإمبراطور تولى العرش فى يناير، وبين رده عليهم فى شهر نوفمبر، وقد وضح فى الخطاب أنه استمع للطرفين. والخطاب باللغتين اليونانية واللاتينية Jones op. cit. p. 18 ff.; p. 24f.

(٢) هذا النزاع الحاد الدموى بين الفريقين تناولته عدة وثائق نشرها العالم بيل

Bell. I., Jews and Christians in Egypt; cf. id. The Acts of Alexandrines, JJP. IV (1950), p. 21, p. 28 f.

(3) Seneca. Apoc. 12. p. 398.

(4) Suet. Claud. 15.

(5) Apoc. p. 401; Suet. Claud. 39; 40.2; cf. Tac. Ann. XI. 28.

ولحسن الحظ أن تلك الصورة القاتمة التى رسمها المؤرخون القدامى قابلتها صورة أخرى مغايرة تماماً، تلك الصورة قامت على أساس دراسة أدلة المصادر الوثائقية وقد اشرت الي بعض منها، وبغض النظر عن أهميتها التاريخية فهذا ليس مجال بحثنا إلا أنها تنم عن ملمح شديد الخصوصية. أن ذلك العدد الضخم من النقوش وأوراق البردى الباقية من عصره تكشف عن العناية التى وجهها كلاوديوس إلى أدق التفاصيل فى التنظيم الإدارى الذى تناول شئون الإمبراطورية[١]. وتدل على أسلوبه الخاص ومنطقه الذى تميز به وطريقة تفكيره. إن تلك الوثائق تكشف عن طبيعة شخصية مدركة لظروف العصر، شخصية كانت تتوق إلى ترسيخ النظام والعدل الممزوج بالتوازن المحافظ على مركزية الحكم.

إن حرص كلاوديوس على رضاء رعيته برهن عليه تلك التكريسات العديدة التى توضح شخصية كلاوديوس الخير[٢] والتى تصفه بكثير من الصفات الخيرة ومن بينها:

θεός Σωτήρ καὶ Εὐεργέτης Πάτρων καὶ Εὐεργέτης Νέος Κτότης

إن م. سكرموزا فى عرضها لتلك التكريسات رأت أنه لا يوجد امبراطور باستثناء أغسطس الذى حكم مدة أطول من حكم كلاوديوس بثلاثة أضعاف، قد ذكر اسمه فى الإهداءات والكتابات النقشية التأبينية وعلى شواهد القبور بمثل تلك الغزارة مثلما ذكر اسم كلاوديوس.. وإن تلك الغزارة النقشية تدل على إغداق كلاوديوس على المقاطعات رعاية خاصة من ناحية، وتدل على ما كان يتمتع به الإمبراطور من مكانة فى تلك المقاطعات من ناحية أخرى. أنها توضح أن كلاوديوس كان متفهماً لتطلعات رعيته. لقد أعطى كلاوديوس "الحاكم الخير" مدلولاً جديداً لمسئولية الحاكم، وقناعة قوية بأنه رضاء الشعب متوقف على سياسة الحاكم الإنسانية. فقد عمل بالفعل على تقوية الدولة فى إطار من المركزية السيادية ومع ذلك كان مدركاً بأن من واجبات الدولة إزاء الفرد هو حماية الضعفاء فى المجتمع وحماية السيدات والعبيد والقرويين[٣]. لقد كان هذا شاغلاً لذهنه بشكل دائم سواء فى وضع السياسات بوصفه حاكم

---

(١) روستوفتزف، سبق ذكره، ص ص ١٢٤، ١٢٥.

(2) Scramuzza, "Claudius Soter Eurgetes". Classical Philology, vol. 51 (1940), pp. 261-266.

تعرض م. سكرموزا مجموعة كبيرة من النقوش جمعتها من المصادر المختلفة، توضح إغداق كلاوديوس رعاية خاصة للمقاطعات من إنشاء مجارى مائية وحمامات وامتيازات مثل منح حق الصيد المجانى وإعفاء من ضرائب لمدة ٥ سنوات وتمويل مشروعات من الصناديق الخاصة بالإمبراطور من أمواله الخاصة أو التخفيف من أعمال السخرة – كما حدث فى مصر مع مجموعة من الكهنة (IGRR I 1253) – ومزايا للمعابد ولفنانى ديونيسوس. ومن ثم فقد استحق لقب "الخير" وأُعربت كثير من Koinon وكذلك القرى عن ولائها له. وأطلق الشرق عليه بخاصة كثير من الثناء المفرط مثل ابيدوس فى مصر (IGRR I 1161) والإسكندريين (P. Lond. 1912). وساعد أهل ساموس فى بناء مدينتهم بعد تعرضها لزلزال عام ٤٧م فأطلقوا عليه المؤسس الجديد νεος κτιστης (IGRR IV 1711) وأطلقت عليه ليسبوس σωτηρ τας οικουμενας (IGRR IV 12.).

(3) Cf. Suet. Claud. 12; 19; 14; 23;

راجع إجراءات الإمبراطور القضائية فيما يخص تعديله للقوانين القاسية وكذلك حرصه على اليتامى والنساء التى لديها أطفال.

أو عندما يجلس على منصة القاضى أو تصرفاته الإدارية. لقد كسب محبة الشعب من خلال تلك الرعاية ونُظر إليه كحاكم راعى محسن إلى المحتاجين. إن تلك الروح التى تمتع بها كلاوديوس أُعطيت لها تعريف صادق من مسئول هو فابيوس بيرسكوس برو قنصل آسيا،(١) حين أعلن فى خطابه لشعبه أنه سيتبع نموذج أقوى وأعدل ما يكون وهو الإمبراطور كلاوديوس الذى جعل الجنس البشرى تحت رعايته الشخصية حتى ضمن لكل إمرئ نصيبه من الإحسان.

هذا هو كلاوديوس الذى نجح بجدارة فى أن يجمع بين سياسة أعظم الأباطرة "يوليوس قيصر" و "أغسطس" بلا تنافر. والذى مات عام ٥٤، ويقال أن أجريبينا دست السم له(٢). وقد أصدر السناتو قراراً بتأليهه ليصير الإله كلاوديوس(٣) "et mox apotheosis: decreti et a senatu duo lictores, flamonium funus et mox consecratio." إنه كلاوديوس الذى أنصفته الوثائق وأعطت فهم أعمق وأبعد لتاريخه وحكومته على عكس المصادر الأدبية التى ركزت على نقاط الضعف فى شخصيته وحكومته. وكان لابد من إعادة تقييم لتلك الشخصية حتى نستطيع أن نفسر ذلك اللغز المُحَير فى شخصية هذا الإمبراطور ونضعه فى مكانته الصحيحة بين الأباطرة العظام.

ناهد عبد الحليم الحمصانى

---

(1) Heberdey, R. Forchungen in Ephesos 11 112 ff.; Scramuzza, op. cit. p. 266. Rostovtzeff, Storia economia 1 ch. III n. 2

أن هذا النموذج للحكم الإنسانى والعادل الذى يمثله كلاوديوس – فى رأينا – يبدو أنه كان بداية لسياسة الأباطرة الأنطونيين "الصالحين" فى نظرتهم لحكم رعاياهم فى الإمبراطورية الرومانية.

(2) Cf. Suet. Claud. 44; Samuel, V. Grimm,. "on the Mushroom", pp. 169-182.

(3) Fishwick, Duncan. The Deification of Claudius, (2002), pp. 341-349.

شـجرة العائلـة التـى يتنمـى إليهـا *C. Fannius* وهـى تـدل علـى شـعور العـداء المـوروث للنظـام الإمبراطورى منذ عهد كلاوديوس وحتى عهد دوميتيانوس .Cf. Alindon, (1956), p. 113